

جامعة النجاح الوطنية

كلية الدراسات العليا

الأنبياء عليهم السلام بين العصمة والبشرية في القرآن الكريم

إعداد

محمد معزوز محمد قشوع

إشراف

د. محسن الخالدي

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في قسم أصول الدين بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس- فلسطين.

2014م

الأنبياء - عليهم السلام - بين العصمة والبشرية في القرآن الكريم

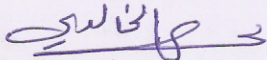
إعداد

محمد معزوز محمد قشوع

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ: 2014/1/30م وأجيزت.

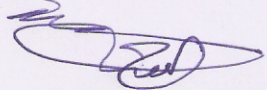
التوقيع

أعضاء لجنة المناقشة



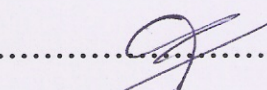
/ مشرفاً ورئيساً

- د. محسن الخالدي



/ممتحناً داخلياً

- د. حسين النقيب



/ممتحناً خارجياً

- د. مدين القرم

الإهداء

- * إلى معلم البشرية الأول ومخرجها من الظلمات إلى النور محمد بن عبد الله - صلى الله عليه وسلم - وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين.
- * إلى والدي الغالي الذي رباني فأحسن تربيتي وتعهدي بالعلم والتعليم حتى بلغت هذه المرتبة.
- * إلى والدتي الحنون التي زرعت في قلبي حب الله ورسوله وحفنتي بدعواتها الطيبة المباركة.
- * إلى أختي الأعزاء أحمد ومحمود وعبد الرحيم وعلي وعبد الله وأختي الغالية أسماء وأخص منهم أخي الحبيب (أحمد) رفيقي ومعيني في كل دروب حياتي.. حفظكم الله..
- * إلى زوجتي الغالية التي تعجز الكلمات عن وصفها فقد عانت معي في كل ظروف حياتي وهي صابرة محتسبة حتى بلغت هذه المرحلة.
- * إلى أطفالي الأحبة أنسام وإبراهيم وكرم ومنجد ويارا الذين تحملوا غيابي وانشغالي عنهم.
- * إلى أعمامي الأحبة سامي وعزيز وسمير وزوجاتهم وأبنائهم.. وأخص منهم والدي الثاني العم (سامي) وزوجته الذين ساندوني واحتضنوني في غربتي عن أهلي.
- * إلى أحوالي وخالاتي، وأخص منهم خالتي جميلة وحسنة، اللتان احتضنتاني احتضان الأم.

إلى كل هؤلاء أهدي هذا العمل

الشكر والتقدير

أبتدىء الشكر لله تعالى على فضله وامتنانه وعظيم جوده وكرم عطائه الذي وفقني إلى إتمام هذا العمل المبارك فله الحمد والمنة. وأسأله أن يزيدني من نعمه كما قال : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ ﴾، إبراهيم: ٧.

واعترافاً بالفضل لأهل الفضل والعلم فإنني أقدم بخالص شكري وتقديري وإجلالي لفضيلة الدكتور محسن الخالدي حفظه الله - لما تكرم به علي بالإشراف على هذه الرسالة وما بذله من جهد عظيم وبما أفادني به من نصائح وتوجيهات كان لها الأثر البالغ في إنجاح هذه الرسالة وبما صبره وتحمله نتيجة ظروفه المختلفة.

وأقدم شكري وتقديري إلى الأساتذة أعضاء لجنة مناقشة الرسالة لما بذلوه من جهد في دراستها وتقديم الملاحظات والتوجيهات النافعة.

وأقدم عظيم شكري وامتناني إلى السادة أعضاء الهيئة التدريسية في كلية الشريعة في جامعة النجاح الوطنية وأساتذتي الكرام في كلية الدعوة الإسلامية قفيلية الذين كان لهم الدور الكبير في تعليمي....

ولا يفوتني أن أشكر الأخ الفاضل والصدیق الغالي الشيخ بلال حنون الذي ساعدني بتوفير الكثير من المراجع وبتوجيهاته النافعة وكذلك الدكتور الفاضل جمال قشوع الذي تكرم بمراجعة الرسالة لغويا وتدقيقها.

الباحث

محمد قشوع

إقرار

أنا الموقع أدناه، مقدم الرسالة التي تحمل العنوان: الأنبياء عليهم السلام بين العصمة
والبشرية في القرآن الكريم

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة، إنما هي نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمّت الإشارة
إليه حيثما ورد، وإنّ هذه الرسالة ككل، أو أيّ جزء منها لم يقدم من قبل لنيل أيّة درجة أو لقب
علمي أو بحثي لدى أيّة مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

The work provided in this thesis unless otherwise referenced is the
researcher's own work and has not been submitted elsewhere for any
other degree or qualification.

Student's Name:

اسم الطالب:

Signature:

التوقيع:

Date:

التاريخ:

فهرس المحتويات

الصفحة	المحتوى
ب	قرار لجنة المناقشة
ت	الإهداء
ث	الشكر والتقدير
ج	إقرار
ح	فهرس المحتويات
ذ	الملخص
1	مقدمة
3	أهمية الدراسة
4	أسباب اختيار الموضوع
4	مشكلة الدراسة
5	أهداف الدراسة
5	منهجية الدراسة
6	الدراسات السابقة
7	محاور الدراسة
10	الفصل الأول: تعريف البشرية والنبوة في اللغة والاصطلاح
11	المبحث الأول: البشرية في اللغة والاصطلاح.
13	المبحث الثاني: النبوة في اللغة والاصطلاح.
15	المبحث الثالث: ضبط مفهوم بشرية الأنبياء - عليهم السلام -.
19	الفصل الثاني: مقتضى بشرية الأنبياء - عليهم السلام -
20	المبحث الأول: الأنبياء - عليهم السلام - ليسوا آلهة.
26	المبحث الثاني: الأنبياء - عليهم السلام - ذووا أجساد.

31	المبحث الثالث: الأنبياء - عليهم السلام - يبتلون ويمتحنون.
49	المبحث الرابع: الأنبياء - عليهم السلام - يعملون ويشغلون.
57	الفصل الثالث: الأنبياء - عليهم السلام - والكمال البشري
58	المبحث الأول: كمال الأنبياء - عليهم السلام - في الخلقة والنسب.
63	المبحث الثاني: كمال الأنبياء - عليهم السلام - في الأخلاق.
70	المبحث الثالث: كما الأنبياء - عليهم السلام - في العقل والقدرة.
75	الفصل الرابع: العوارض البشرية وعصمة الأنبياء - عليهم السلام -
76	المبحث الأول: العصمة في اللغة والاصطلاح.
81	المبحث الثاني: حدود عصمة الأنبياء - عليهم السلام -.
87	المبحث الثالث: العوارض البشرية لا تنافي العصمة وفيه:
87	المطلب الأول: نسيان آدم - عليه السلام -.
89	المطلب الثاني: خوف موسى وفرع داوود - عليهما السلام -.
94	المطلب الثالث: عبوس النبي محمد - صلى الله عليه وسلم -.
98	الفصل الخامس: موقف الكفار من بشرية الأنبياء - عليهم السلام -
99	المبحث الأول: الاستهزاء والسخرية.
105	المبحث الثاني: الطعن والتشكيك.
111	المبحث الثالث: التكذيب والعناد.
117	الفصل السادس: حكمة بشرية الأنبياء - عليهم السلام -
118	المبحث الأول: التكريم والإنعام الإلهي.
120	المبحث الثاني: التيسير على الناس في العلم والبيان.
123	المبحث الثالث: القدرة على القيادة والتوجيه.
126	المبحث الرابع: القدوة الحسنة.
129	الخاتمة

130	مسرد الآيات
143	مسرد الأحاديث
145	المصادر والمراجع
B	الملخص باللغة الإنجليزية

الأنبياء - عليهم السلام - بين العصمة والبشرية في القرآن الكريم

إعداد

محمد معزوز محمد قشوع

إشراف

الدكتور محسن الخالدي

الملخص

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن والاه ومن سار على نهجه واتبع هداه إلى يوم الدين.

يتناول البحث بشرية الأنبياء - عليهم السلام - في القرآن الكريم حيث كانت هذه الخاصية لهم مثار جدل لدى أقوامهم دفعتهم إلى تكذيبهم وعدم القبول لدعوتهم وكانت مدخلاً للطعن في صدق نبوتهم.

ويتضمن هذا البحث ضرورة الإيمان بنبوتهم والالتزام بشرائعهم والتصديق بما جاؤوا به من عند الله تعالى وعدم الالتباس بما يصدر منهم من طبائع البشر كالأكل والشرب أو قيامهم بأعمال البشر أو التعرض للبلاء والامتحان.

ويتناول البحث كثيراً من المواقف التي تعرض لها الأنبياء في حياتهم وتدل على بشريتهم وكيف تعهدهم الله بالرعاية والحفظ.

وتناولت في هذا البحث عصمة الأنبياء - عليهم السلام - مبيناً بعض العوارض التي تعرض لها بعض الأنبياء ولم تقدر في عصمتهم ومكانتهم.

وتعرضت للحكمة من كون الأنبياء من جنس البشر فقد كان لذلك أثر في تسهيل التواصل مع أقوامهم وتيسيراً عليهم في الأسوة والافتداء.

المقدمة:

الحمد لله الذي هيا لعباده أسباب الهداية ويسر لهم دروب الاستقامة وفتح لهم أبواب رحمته وجنته وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إله الأولين والآخرين وجامع الناس جميعاً إلى يوم الدين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وهداية للخلق أجمعين وعلى من سار على نهجه واقتفى أثره إلى يوم الدين وبعد:

إن الأنبياء والرسل - عليهم السلام - هم الذين اصطفاهم الله من بني البشر يحملون دعوته لعباده يبشرون من آمن منهم وعمل صالحاً بحسن الثواب والمكافأة في الدنيا والآخرة وينذرون من كفر وعمل سيئاً بالعقاب وسوء المصير قال تعالى: ﴿ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٤٨) (1) أي: "مبشرين عباد الله المؤمنين بالخيرات ومنذرين من كفر بالله بالنقمت والعقوبات ولهذا قال: ﴿ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ ﴾ أي: فمن آمن قلبه بما جاؤوا به وصلاح عمله بإتباعه إياهم؛ ﴿ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ﴾ أي: بالنسبة لما يستقبلونه ﴿ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ أي: بالنسبة إلى ما فاتهم وتركوه وراء ظهورهم من أمر الدنيا وصنيعها فانه وليهم فيما خلفوه وحافظهم فيما تركوه ثم قال: ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ (2)، أي: ينالهم العذاب بما كفروا بما جاءت الرسل وخرجوا عن أوامر الله وطاعته وارتكبوا من مناهيه ومحارمه وانتهاك حرمانه" (3).

وهؤلاء الأنبياء والرسل - عليهم السلام - يتلقون العلم من الله تعالى بواسطة أو بدون واسطة، وذلك على ضروب شتى من ذلك الرؤيا الصالحة فعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها - أنها قالت: ((أول ما بُدئَ به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الوحي الرؤيا

(1) سورة الأنعام: 48.

(2) سورة الأنعام: 49.

(3) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي: تفسير القرآن العظيم. ج 2 / ص 134. بيروت: دار الفكر. 1401هـ.

الصالحة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصُّبح))⁽¹⁾ ومن ذلك أيضاً النفث في الروع لما جاء في حديث عبد الله بن مسعود عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: ((إنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رُوعِي أَنْ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمَلَ رِزْقَهَا أَلَا فَانْقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ))⁽²⁾ وقد يكون التلقي عن طريق الكلام المباشر من الله من وراء حجاب وهذا وارد في حق موسى - عليه السلام - والذي سمي (كليم الله) قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾⁽³⁾ وقال أيضاً سبحانه: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ، قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾⁽⁴⁾ وكل ما ذكر آنفا هو من التلقي المباشر بدون واسطة أما التلقي الذي يكون بواسطة فهو عن طريق إرسال الملك وهو جبريل - عليه السلام - ويحدث هذا على كيفيتين إما يأتيه كصلصلة الجرس أو يتمثل له بصورة بشر وقد ذكر النبي - صلى الله عليه وسلم - ذلك كما في حديث عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها - أن الحارث بن هشام - رضي الله عنه - سأل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ((أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده عليّ فيفصم عني وقد وعيتُ عنه ما قال وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول)) قالت عائشة - رضي الله عنها -: ((ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه لينفصد عرقاً))⁽⁵⁾.

-
- (1) البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي: **الجامع الصحيح المختصر**. ج 1 / ص 4. تحقيق: د. مصطفى ديب البغا. ط 3. بيروت: دار ابن كثير - اليمامة. 1407 هـ - 1987 م. كتاب بدئ الوحي. باب كيف كان بدئ الوحي إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم. رقم الحديث (3).
- (2) القضاء، أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر: **مسند الشهاب**. ج 2 / ص 185. تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي. ط 2. بيروت: مؤسسة الرسالة. 1407 هـ - 1986 م. رقم الحديث (1151). قال الألباني: حسن صحيح. رجاله ثقات رجال الشيخين. الألباني، محمد ناصر الدين: **سلسلة الأحاديث الصحيحة**. ج 6 / ص 865. ط 1. الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع. 1416 هـ - 1996 م. رقم (2866). وانظر، الألباني، محمد ناصر الدين: **صحيح الترغيب والترهيب**. ج 2 / ص 144. ط 5. الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع. رقم: (1702).
- (3) سورة النساء: 164.
- (4) سورة الأعراف: 143.
- (5) البخاري: **صحيح البخاري**. ج 1 / ص 4. كتاب بدء الوحي. باب كيف كان بدئ الوحي إلى رسول الله. رقم الحديث (2).

والنبوة فضل إلهي يؤتيها الله من يشاء من عباده ولا تتال بالعقل أو تترك بالكسب وكثرة الطاعة، ولا يحصل عليها بالوراثة بل هي اصطفاء من الله لبعض خلقه يرزقهم إياها يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (٧٥) (1) والنبوة حاجة ماسة للبشرية فالأنبياء يمنحون الروح غذاءها وينقذونها من ظلام الجهل إلى نور الحق فوظيفة الأنبياء تتلخص في الدعوة إلى وحدانية الله والإيمان بيوم الجزاء وبيان الشرائع التي فيها صلاح البشرية وسعادتهم في الدنيا والآخرة.

إن إرسال الرسل إلى البشر يقطع طريق الأعذار أمام المعارضين والمكذبين ولا يدع لهم حجة يتذرعون بها بأن الله لم يبين لهم طريق الهدى الذي ينبغي أن يسيروا عليه قال تعالى: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (١٦٥) (2)، والأنبياء - عليهم السلام - ليسوا على درجة واحدة من الفضل والمكانة فبعضهم يفضل البعض الآخر كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ (٥٥) (3).

أهمية الدراسة:

تكتسب هذه الدراسة أهميتها من طبيعة الموضوع الذي تعالجه فهي تعالج قضية جوهرية تمس الأنبياء - عليهم السلام - منارات الهدى ومصايح الدجى ويمكن إجمال أهمية الدراسة في الآتي:

1- أنها جاءت خدمة لكتاب الله تعالى فالقرآن الكريم هو المصدر الرئيس والأساس في هذه الدراسة فجل ثمار هذه الدراسة من القرآن الكريم.

(1) سورة الحج: 75.

(2) سورة النساء: 165.

(3) سورة الإسراء: 55.

2- شرف هذا الموضوع فهي تتحدث عن الأنبياء - عليهم السلام - خلاصة الجنس البشري وما وصلوا إليه من الكمال الإنساني في الخلق والخلق وفي العقل والقدرة وتزِيل عنهم ما حاول بعض المكذِبين إصاِقه بهم من الإلوهية والكهنوتية.

3- حاجة المكتبة الإسلامية المعاصرة إلى مثل هذه الدراسة والتي تمنح القارئ فرصة الإطلاع على منارات الهدى عبر التاريخ البشري بالمنظار البشري ليتأسوا بهم في تشييد الحضارة المعاصرة وتوجيه أبناء الصحوة التوجيه السليم.

أسباب اختيار الموضوع:

إن اختياري لهذا الموضوع جاء بعد استشارة أساتذتي الكرام في كلية الشريعة وقد أثنوا عليه كثيرا وشجعوني على المضي فيه ويمكن كذلك إجمال الأسباب التي دعنتي للكتابة في هذا الموضوع بالتالي:

- 1- عدم وجود دراسة مستوفاة وشاملة في هذا المجال.
- 2- لإبراز الكمال الإنساني عند الأنبياء - عليهم السلام -.
- 3- لمحاولة التوفيق بين عصمة الأنبياء - عليهم السلام - وبين العوارض البشرية التي تعرضوا إليها.
- 4- لإظهار الحكمة من كون الأنبياء - عليهم السلام - من البشر.

مشكلة الدراسة:

تحاول هذه الدراسة الإجابة على الأسئلة التالية:

- 1- ما المدى الذي اهتم به القرآن الكريم في طرحه لبشرية الأنبياء - عليهم السلام -
- 2- كيف عالج القرآن الكريم هذه القضية التي أرقّت أذهان الكفار قديما وحديثا

- 3- كيف نظر القرآن الكريم إلى الانفعالات التي حصلت مع الأنبياء - عليهم السلام -
- 4- ما القيم والحكم التي يمكن الاستفادة منها من الطبيعة البشرية للأنبياء - عليهم السلام -

أهداف الدراسة:

تتلخص أهداف هذه الدراسة بالآتي:

- 1- لفت الأنظار إلى بشرية الأنبياء - عليهم السلام - والحكم والدلالات من وراء ذلك.
- 2- محاولة التوفيق بين عصمة الأنبياء - عليهم السلام - وبين بعض العوارض التي أصابتهم من خوف وفزع وعبوس وتبسم ونسيان ومعصية.
- 3- إظهار الكمال الإنساني الذي منحه الله تعالى للأنبياء - عليهم السلام -.

منهجية الدراسة:

اتبعت في هذه الدراسة منهجين هما:

- 1- المنهج الاستقرائي: وذلك من خلال الاطلاع على الآيات القرآنية التي تحدثت عن بشرية الأنبياء - عليهم السلام - وعن كمالهم الإنساني وعن العوارض البشرية التي وقعوا بها.
- 2- المنهج التحليلي: وذلك من خلال تحليل ودراسة هذه الآيات وفق منهجية البحث في التفسير الموضوعي.

وقد اتبعت في ذلك الخطوات التالية:

- 1- جمع الآيات التي تحدثت عن بشرية الأنبياء - عليهم السلام - وعزوها إلى سورها.
- 2- استخراج الحكم والفوائد المستفادة من بشرية الأنبياء - عليهم السلام -.

3- الرجوع إلى المصادر الرئيسية المعتمدة في هذا الموضوع وفي مقدمتها كتب التفسير والعقيدة والحديث واللغة.

4- إتباع الأسلوب العلمي في توثيق المعلومات بشكل علمي دقيق وعزو الأقوال إلى أصحابها.

5- وضع علامات الترقيم والتشكيل والتصنيف كما يقتضي البحث العلمي.

الدراسات السابقة:

من خلال تتبعي وتدقيقي للمراجع والكتب المتيسر الوصول إليها تبين لي أنه لم يتم الكتابة في هذا الموضوع بشكل علمي مستقل وإنما وجدت بعض الإشارات والدراسات والمواضيع غير المكتملة حول هذه القضية وبشرية الأنبياء - عليهم السلام - تطرقت إليها معظم الكتب والمراجع ذات الصلة وخاصة منها كتب التفسير والعقائد على النحو التالي:

أولاً: كتب التفسير: حيث تطرقت إلى هذه القضية عند آيات بشرية الأنبياء - عليهم السلام - وأهم هذه التفاسير:

1- جامع البيان / الإمام الطبري .

2- التفسير الكبير / الإمام فخر الدين الرازي .

3- تفسير المنار / الإمام محمد رشيد رضا .

4- في ظلال القرآن / السيد سيد قطب .

ثانياً: كتب العقائد: حيث أفاضت وأجادت في الحديث عن البشرية والعصمة للأنبياء - عليهم السلام - ومن هذه الكتب:

1- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية .

- 2- الفِصَدَ في المِلل والأهواء والنحل / ابن حزم الظاهري .
- 3- حجة الله البالغة / الإمام الدهلوي .
- 4- العقائد الإسلامية / سيد سابق .
- 5- الرسل والرسالات / د.عمر الأشقر .
- 6- حجية السنة / عبد الغني عبد الخالق .
- 7- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول / الشوكاني .
- 8- النبوة والأنبياء / محمد علي الصابوني .
- 9- مع الأنبياء في القرآن الكريم / عفيف عبد الفتاح طيارة .
- 10- الانفعالات النفسية عند الأنبياء في القرآن الكريم / بلال داوود .
- 11- الشفا بتعريف حقوق المصطفى / القاضي عياض .

وقد تمثل دوري كباحث في لم شمل هذه المادة القرآنية العلمية من أمّات كتب التفسير والعقيدة والحديث واللغة والأصول وتحليلها وتوجيه قضية العصمة عند الأنبياء - عليهم السلام - بعد تعارضها مع العوارض البشرية وإبراز الجانب الكمالي عندهم وحكمة كونهم - عليهم السلام - من البشر وعرضها بأسلوب البحث العلمي الموضوعي.

محاوَر الدراسة:

قمت بتقسيم هذه الدراسة إلى مق دمة وستة فصول وخاتمة وضمّنت كل فصل عدة مباحث على النحو التالي:

الفصل الأول: تعريف البشرية والنبوة في اللغة والاصطلاح وفيه:

المبحث الأول: تعريف البشرية في اللغة والاصطلاح.

المبحث الثاني: تعريف النبوة في اللغة والاصطلاح.

المبحث الثالث: ضبط مفهوم بشرية الأنبياء - عليهم السلام -.

الفصل الثاني: مقتضى بشرية الأنبياء - عليهم السلام - وفيه:

المبحث الأول: الأنبياء - عليهم السلام - ليسوا آلهة.

المبحث الثاني: الأنبياء - عليهم السلام - ذوا أجساد.

المبحث الثالث: الأنبياء - عليهم السلام - يبتلون ويمتحنون.

المبحث الرابع: الأنبياء - عليهم السلام - يعملون ويشغلون.

الفصل الثالث: الأنبياء - عليهم السلام - والكمال البشري وفيه:

المبحث الأول: كمال الأنبياء - عليهم السلام - في الخلقة والنسب.

المبحث الثاني: كمال الأنبياء - عليهم السلام - في الأخلاق.

المبحث الثالث: كمال الأنبياء - عليهم السلام - في العقل والقدرة.

الفصل الرابع: العوارض البشرية وعصمة الأنبياء - عليهم السلام - وفيه:

المبحث الأول: العصمة في اللغة والاصطلاح.

المبحث الثاني: حدود عصمة الأنبياء - عليهم السلام -.

المبحث الثالث: العوارض البشرية لا تنافي العصمة وفيه:

المطلب الأول: نسيان آدم - عليه السلام -.

المطلب الثاني: خوف موسى - عليه السلام -.

المطلب الثالث: فزع داوود - عليه السلام -.

المطلب الرابع: عبوس محمد - عليه السلام -.

الفصل الخامس: موقف الكفار من بشرية الأنبياء - عليهم السلام - وفيه:

المبحث الأول: الاستهزاء والسخرية.

المبحث الثاني: الطعن والتشكيك.

المبحث الثالث: التكذيب والعناد.

المبحث الرابع: الانتقاص والاستخفاف.

الفصل السادس: حكمة بشرية الأنبياء - عليهم السلام - وفيه:

المبحث الأول: التكريم والإنعام الإلهي.

المبحث الثاني: التيسير على الناس في العلم والبيان.

المبحث الثالث: القدرة على القيادة والتوجيه.

المبحث الرابع: القدوة الحسنة.

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وأن يجعله في ميزان حسناتي يوم

نلقاه سبحانه وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفصل الأول

تعريف البشرية والنبوة في اللغة والاصطلاح

المبحث الأول: البشرية في اللغة والاصطلاح.

المبحث الثاني: النبوة في اللغة والاصطلاح.

المبحث الثالث: ضبط مفهوم بشرية الأنبياء - عليهم السلام -.

المبحث الأول

البشرية في اللغة والاصطلاح

أولاً: البشرية في اللغة:

البشرية مأخوذة من مادة (بَشَرَ) والبشر بمعنى الخلق يقع على الأنثى والذكر والواحد والاثنتين والجمع وأبشره أي أظهر بشرته⁽¹⁾ وقال ابن سيده: "البشر الإنسان يقع على الواحد وعلى الجميع"⁽²⁾ والمذكر والمؤنث في ذلك سواء وقد يثنى ففي التنزيل: ﴿أَتُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا﴾⁽³⁾ ومن الجمع قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا تَرِينَ مِنَ الْبَشَرِ﴾⁽⁴⁾، وقوله: ﴿مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾⁽⁵⁾، فكانت كلها على صيغة الجمع⁽⁶⁾، والبشرة أعلى جلدة الرأس والوجه والجسد من الإنسان وهي التي عليها الشعر، وتجمع أبطار⁽⁷⁾.

وقد عبر عن الإنسان بالبشر اعتباراً بظهور جلده من الشعر بخلاف الحيوانات التي عليها الصوف أو الشعر أو الوبر واستوى في لفظ البشر الواحد والجمع وثني⁽⁸⁾ كما ذكر سابقاً.

(1) انظر، ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب. مادة (بَشَرَ). ج 4 / ص 59 - 60. ط 3. بيروت: دار صادر. 1414 هـ 1994 م.

(2) ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل: المخصص. ج 5 / ص 154. ط 1. تحقيق خليل إبراهيم جفال. بيروت: دار إحياء التراث. 1417 هـ 1996 م. باب ما يكون واحد يقع على الواحد والجميع.

(3) سورة المؤمنون: 47.

(4) سورة مريم: 26.

(5) سورة يس: 15.

(6) انظر، ابن سيده: المخصص. ج 5 / ص 155. وانظر: الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. ج 3 / ص 191. تحقيق عبد الرزاق المهدي. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

(7) انظر، ابن منظور: لسان العرب. مادة (بَشَرَ). ج 4 / ص 59 - 60.

(8) الأصفهاني، العلامة الراغب: مفردات ألفاظ القرآن. ج 1 / ص 124. تحقيق صفوان عدنان داوودي. ط 4. دمشق: دار القلم. بيروت: الدار الشامية. 1430 هـ 2009 م.

ثانياً: البشرية في الاصطلاح:

لقد جاء إطلاق لفظ (بشر) في القرآن الكريم على كل موضع اعتبر من الإنسان جنته وظاهره نحو قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا﴾⁽¹⁾ وقوله عز وجل: ﴿إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّنْ طِينٍ﴾⁽²⁾ ولما أراد الكفار الانتقال من الأنبياء اعتبروا صفة البشرية انتقاصاً فيهم كما بين ذلك سبحانه على لسانهم: ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾⁽³⁾، وقوله: ﴿مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾⁽⁴⁾ ول هذا وجّه الله تعالى نبيه محمداً - صلى الله عليه وسلم - للإجابة عن ذلك بقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾⁽⁵⁾، فهنا تنبيه على استواء البشرية وإنما التفاضل بين البشر والأنبياء يكون بما اختص الله أنبياءه من زيادة في خصلة أو معرفة جليلة ولذلك جاءت تكملة الآية: ﴿يُوحَىٰ إِلَىٰ أَنَّمَا إِلَهُ الْبَشَرِ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ أي أنني بذلك ميزت عليكم ولهذا ظهر إعجاب النسوة بجمال يوسف - عليه السلام - فأخرجنه من نطاق البشرية وأنه أشرف من أن يكون جوهره جوهر البشر قال تعالى مخبراً عن حالهن: ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾⁽⁶⁾.

(1) سورة الفرقان: 54.

(2) سورة ص: 71.

(3) سورة المدثر: 27.

(4) سورة يس: 15.

(5) سورة الكهف: 110.

(6) سورة يوسف: 31.

المبحث الثاني

النبوة في اللغة والاصطلاح

أولاً: النبوة في اللغة:

النبوة من النبأ وهو الخبر والجمع أنباء وإن لفلان نبأ أي: خبراً والنبى هو: من أنبأ عن الله وهو مأخوذ من نبأ وأنبأ أي: أخبر والنبى مشتق من النبوة وهي الشيء المرتفع. وتتبأ الرجل: ادعى النبوة، وتتبأ مسيلمة بالهمز، غير أنهم تركوا الهمز في النبي لأنها لغة رديئة⁽¹⁾.

يقول ابن فارس: "إن النبي - صلى الله عليه وسلم - اسمه من النبوة، وهو الارتفاع، كأنه مفضل على سائر الناس برفع منزلته، والمنبئ: المخبر"⁽²⁾.

ولا يقال للخبر في الأصل نبأ إلا إذ تحقق فيه فائدة عظيمة يحصل به علم أو غلبة ظن ولتضمن النبأ معنى الخبر يقال: أنبأته بكذا كقولك: أخبرته بكذا ولتضمنه معنى العلم قيل: أنبأته كذا كقولك: أعلمته كذا قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿١٨﴾﴾⁽³⁾.

ثانياً: تعريف النبوة اصطلاحاً:

النبي هو: "حراً ذكر من بني آدم سليم من منفر معصوم ولو من صغيرة سهواً قبل النبوة وعن كل رذيلة أكمل معاصريه غير الرسل اصطفاه الله من بين عباده وخصه به بمشيئته موهبة منه ورحمة وأوحى إليه بشرع سواء أمره بتبليغه أم لا والرسول لا يطلق

(1) ابن منظور: لسان العرب. ج 1 / ص 162 163. مادة (نبأ).

(2) انظر، ابن فارس، أبو الحسن أحمد: مقاييس اللغة. ج 5 / ص 385. تحقيق عبد السلام محمد هارون. ط 2. بيروت: دار الجيل. 1420هـ 1999م.

(3) سورة ص: 67 68.

على غير الآدمي كالملك والجن إلا مقيداً ومنه قوله تعالى: ﴿جَاعِلِ الْمَلَكِ رُسُلًا﴾ (1) وقوله تعالى: ﴿يَمَعَشَرِ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ (2) هي من باب ذكر الكل وإرادة البعض (3).

وللعلماء في التفريق بين النبي والرسول كلام كثير، يتلخص في أن النبي هو من أوحى إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه، أما الرسول فهو من أوحى إليه بشرع وأمر بتبليغه (4). ويقول ابن تيمية: "فالنبي: هو الذي ينبئه الله وهو ينبيء بما أنبأ الله به فإن أرسل مع ذلك إلى من خالف أمر الله ليلبغه رسالة من الله إليه فهو رسول وأما إذا كان إنما يعمل بالشرعية قبله ولم يرسل هو إلى أحد يبلغه عن الله رسالة فهو نبي وليس برسول" (5).

فالأنبياء والرسل هم الذين اصطفاهم الله من بني البشر يحملون دعوته لعباده يبشرون من آمن منهم وعمل صالحاً بحسن الثواب والمكافأة في الحياة الدنيا والآخرة وينذرون من كفر وعمل سيئاً بالعقاب وسوء المصير (6).

(1) سورة فاطر: 1.

(2) سورة الأنعام: 130.

(3) انظر: الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية. ج 1 / ص 900. تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري. بيروت: مؤسسة الرسالة. 1419 هـ - 1998 م.

(4) الحنفي، ابن أبي العز: شرح العقيدة الطحاوية. ج 1 / ص 158. ط 4. بيروت: المكتب الإسلامي. 1391 هـ.

(5) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم: النبوات. ج 1 / 184. القاهرة: المطبعة السلفية. 1386 هـ.

(6) انظر: طبارة، عفيف عبد الفتاح: مع الأنبياء في القرآن. ج 1 / ص 11. بيروت: دار العلم للملايين. 1985 م.

المبحث الثالث

ضبط مفهوم بشرية الأنبياء - عليهم السلام -

إن المنتبغ لآيات القرآن الكريم، ليقف أمام جمع لا بأس به من الصفات التي اتصف بها الأنبياء - عليهم السلام -، ليكونوا أهلاً لحمل الرسالة التي تدعو إلى وحدانية الله تعالى، وتبليغها إلى من أرسلوا إليهم من الناس، وكان لا بد من صفة مشتركة تجمع بين المرُسد والمرُسد إليه، فكانت صفة البشرية هي الأهم على الإطلاق، هذه الصفة التي كانت محل اعتراض كبير، عاناه الأنبياء - عليهم السلام - في مسيرة دعوتهم إلى الله تعالى من قبل المعاندين. وقد أظهرت الآيات القرآنية ذلك الاعتراض في الكثير من المواضع، منها قوله تعالى: ﴿ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ۝١٥ ﴾⁽¹⁾، وقوله سبحانه: ﴿ فَقَالُوا أَبَشَرًا مِثْلَنَا وَجَدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذَا لَفِيَ ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ۝٢٤ ﴾⁽²⁾، وقوله تعالى: ﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ۝٩٤ ﴾⁽³⁾، فمن هذه الآيات وغيرها نرى أن المشركين برروا استنكافهم عن قبول دعوات الرسل ببشرية أولئك الرسل، وهذا دليل قاطع على جهل هؤلاء المشركين وضلالهم، لأنهم أنفوا أن يتبعوا رسولاً من البشر مثلهم، ولم يأنفوا أن يعبدوا حجراً أو شجراً.

ولو تتبعنا قصة أصحاب القرية التي جاءت في سورة (يس) لوجدنا أن الرفض كان مستدرجاً في ثلاث ردود، فأول ما قال المعاندون: ﴿ مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا ﴾، وحصيلة ذلك أن يكون تكذيب بما أنزل الله بالضرورة، فجاء الرد الثاني من التكذيب أشد من سابقه: ﴿ وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ ﴾، فهو إنكار لما جاؤوا به عن الله، لينطلقوا إلى الرد الثالث حيث كانت القاصمة: ﴿ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴾.

(1) سورة يس: 15.

(2) سورة القمر: 24.

(3) سورة الإسراء: 94.

ومع تواصل التتبع لآيات القرآن الكريم، نجد أن الأنبياء - عليهم السلام - كانوا يردون على هؤلاء المكذبين من جنس أسلوبهم واعتراضهم، قال تعالى على لسان رسوله: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رَسُولُهُمْ إِنَّ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۗ﴾ (1)، وهنا تتضح حكمة الأنبياء في ردهم على معارضيهم، وهو أسلوب دعوي حكيم في مجازاة الخصوم يستند إلى العقل والمنطق، فلا شك أننا بشر مثلكم ومن جنسكم، ولكن تميزنا بصفات جعلها الله فينا، كرماً منه لحمل هذه الرسالة وتلقي ما يوحيه إلينا، فإله وحده يصطفي من يشاء ويختار، ومن رحمته وحكمته أن نكون من جنسكم البشري، فلو كان الأنبياء من الملائكة لما كان هناك توافق بينهم وبين أقوامهم، لاختلاف الطبيعتين عن بعضهما البعض، ولما استطاع البشر أن يتلقوا عنهم، وحتى الأنبياء - عليهم السلام - عندما كانوا يتلقون الوحي من الله عن طريق الملك، كان يتمثل لهم بصورة البشر، لأن توافق الطباع يجعل للقبول طريقاً سهلاً ممكناً، ولهذا جاء الرد: ﴿إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾، يعترينا ما يعتريكم، ويلحق بنا ما يلحق بكم، ولا نملك من أمرنا شيئاً، بل الأمر كله لله، قال تعالى أمراً نبيه: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (2)، فهذا حالنا وهذا واقعنا.

والأنبياء وإن كانوا من جنس البشر إلا أنهم يتمتعون بأرقى صفات البشرية الخلقية منها والخلقية، التي جعلتهم أهلاً لحمل رسالة رب العالمين، فتلك حكمة إلهية واصطفاء رباني، وليس ثمة تناف بين بشرية النبي بكل محتواها، وبين اجتنائه للنبوة والرسالة، ولو لم يكن الرسول بشراً فكيف للبشر أن يتبعوا خطواته وهو محاط بأسوار من الأسرار لا يدركون كنهها لبعدها عن طبيعتهم! فبشرية الرسل والأنبياء جعلت منهم أشخاصاً تقتدي بهم الأمم.

فالرسل والأنبياء - عليهم السلام - يتساوون مع البشر في طبيعتهم واحتياجاتهم:

1- فهم يحتاجون لما يحتاج إليه البشر من طعام وشراب، ويحدثون كما يحدث البشر، لأن

ذلك من لوازم الحياة البشرية، يقول تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا

كَانُوا خَالِدِينَ﴾ (3).

(1) سورة إبراهيم: 11.

(2) سورة الأعراف: 188.

(3) سورة الأنبياء: 8.

2- ومن ذلك أنهم ولدوا كما يولد البشر غير آدم وعيسى عليهما السلام -لهم آباء وأمهات وأعمام وعمات وأخوال وخالات ويتزوجون ويرزقون بالذرية، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ (1).

3- ويصيب الأنبياء ما يصيب البشر من أعراض، فهم ينامون ويقومون، ويمرضون ويصحون، قال تعالى على لسان إبراهيم - عليه السلام -: ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي ﴿٧٧﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِي ﴿٨٠﴾﴾ (2)، وعن أيوب - عليه السلام - قال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٢﴾﴾ (3).

4- والأنبياء - عليهم السلام - يأتي عليهم ما يأتي على البشر من العوارض المختلفة، كالنسيان مثلاً، قال تعالى عن آدم - عليه السلام -: ﴿وَلَقَدْ عَاهَدْنَا آلَ آدَمَ مِن قَبْلِ فَنَسَى وَاذُنًا لَّهُ عَزْمًا ﴿١١٥﴾﴾ (4)، وأخبر سبحانه عن موسى عليه السلام - وفتاه: ﴿نَسِيَاحُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾﴾ (5).

5- وأيضاً يقع منهم الخطأ ويكون بعدها عتاب من الله لهم، قال تعالى مخاطباً نبيه صلى الله عليه وسلم -: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾﴾ (6)، وقوله سبحانه: ﴿عَسَىٰ وَنُوْحٌ ﴿١﴾ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾﴾ (7)، وقد يكون الخطأ منهم مستوجباً للعقوبة، كما قال تعالى لنبيه في حادثة أسرى بدر: ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾ (8).

(1) سورة الرعد: 38.

(2) سورة الشعراء: 79 - 80.

(3) سورة الأنبياء: 83.

(4) سورة طه: 115.

(5) سورة الكهف: 61.

(6) سورة التوبة: 43.

(7) سورة عبس: 1 - 2.

(8) سورة الأنفال: 68.

6- وتقع م نهم ال عاطفة والضعف كما حدث مع نبي الله نوح - عليه السلام - : ﴿ وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَكِيمِينَ ﴾ (٤٥) (1).

7- وذ هانتهم ب الموت، قال سبحانه: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ (٣٠) (2).

فالأنبياء - عليهم السلام - هم نموذج للبشر، يقتدى بهم ويتواصلون مع أقوامهم بنفس طباعهم وعاداتهم، حتى يكون إيصال الدعوة أمراً سهلاً ميسراً، فالبشر ليسوا بحاجة إلى ملائكة، لأننا لن نصل إلى مراتبهم ولن نكون مثلهم، وكل الأنبياء - عليهم السلام - نبهوا على هذه الخاصية لأقوامهم، حتى يفكروا بعقولهم ويدركوا بأفهامهم حكمة الخالق سبحانه، ولكن كما ذكرت سابقاً فإن الكفار استعظموا أن يكون شخص من جنسهم يأكل ويشرب ويتزوج ويعتريه ما يعتري البشر ثم يكون رسولاً، قال تعالى حكاية عنهم: ﴿ وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُوبُ مَعَهُ نَذِيرًا ﴾ (٧) (3)، وهذه الشبهة لدى الكفار أعني بذلك بشرية الرسل والأنبياء كانت من أعظم الأسباب في صد الناس عن إتباع الرسل والابتعاد عنهم بل واعتبروا ذلك خسراناً وضللاً مبيناً، ﴿ وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَخَسِرُونَ ﴾ (٢٤) (4)، ولم يعلموا أن خسارتهم الحقيقية في إعراضهم وتركهم لأوامر أنبيائهم.

(1) سورة هود: 45.

(2) سورة الزمر: 30.

(3) سورة الفرقان: 7.

(4) سورة المؤمنون: 34.

الفصل الثاني

مقتضى بشرية الأنبياء - عليهم السلام -

المبحث الأول: الأنبياء - عليهم السلام - ليسوا آلهة.

المبحث الثاني: الأنبياء - عليهم السلام - ذوا أجساد.

المبحث الثالث: الأنبياء - عليهم السلام - يبتلون ويمتحنون.

المبحث الرابع: الأنبياء - عليهم السلام - يعملون ويشغلون.

المبحث الأول

الأنبياء - عليهم السلام - ذوا أجساد

إن من مقتضى بشرية الأنبياء - عليهم السلام - أنهم جسد، يقول الله تعالى في وصفهم: ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ﴾⁽¹⁾، والجسد هو: "الجسم لكنه أخص"⁽²⁾ قال الفراهيدي: "الجسد للإنسان ولا يقال لغير الإنسان جسد من خلق الأرض"⁽³⁾، وجاء في اللسان: "والجسد: البدن تقول منه تجسد، كما تقول هذا الجسم، تجسّم"⁽⁴⁾ وخص البعض الجسد بمعنى: "الجسم الذي لا حياة فيه وأنه يرادف الجنة"⁽⁵⁾، مستدلاً بقوله تعالى عن عجل بني إسرائيل: ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ﴾⁽⁶⁾.

ويمكن الجمع بين المعنيين بأن الجسد هو تجميع الشيء واشتداده، قال ابن فارس: "الجيم والسين والذال يدل على تجمع الشيء أيضاً واشتداده من ذلك جَسَدَ الإنسان"⁽⁷⁾. وعلى ذلك قد يطلق الجسد على الجنة التي لا حراك فيها ولا حياة كعجل بني إسرائيل إذ تم تجميع الذهب وإذابته ووضع العجل واشتداده، ويمكن أن يطلق على الجسم الذي يأكل ويشرب من خلق الأرض كجسد الإنسان، ويمكن أن يطلق على الجسم الذي لا يأكل ولا يشرب كالملائكة، قال

(1) سورة الأنبياء: 8.

(2) الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد: مفردات غريب القرآن. ج 1 / ص 134. تحقيق مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز. مكتبة نزار مصطفى الباز.

(3) الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد: كتاب العين. ج 6 / ص 47. تحقيق مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي.

(4) ابن منظور: لسان العرب. ج 3 / ص 120، مادة (جَسَد).

(5) ابن عاشور، محمد الطاهر: التحرير والتنوير. ج 17 / ص 19. تونس: الدار التونسية. 1984م. وانظر: الماوردي،

أبا الحسن علي بن محمد بن حبيب: النكت والعيون، تفسير الماوردي. ج 3 / ص 438. مراجعة وتعليق السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم. بيروت: دار الكتب العلمية ومؤسسة الكتب الثقافية.

(6) سورة طه: 88.

(7) ابن فارس: مقاييس اللغة. ج 1 / ص 457، باب الجيم والسين وما يتلثهما.

تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴾⁽⁸⁾، ومعنى الآية: "وما جعلناهم أي الأنبياء عليهم السلام ذوي أجساد إلا ليأكلوا الطعام، وذلك أنهم قالوا: ﴿ مَا لَ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ ﴾⁽¹⁾، فأعلموا أن الرسل أجمعين يأكلون الطعام وأنهم يموتون وهو قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴾⁽²⁾." وقد أخرج ذلك الطبري في تفسيره عن قتادة⁽³⁾.

و (ما) في الآية ﴿ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا ﴾ نافية؛ وهي لا تنفي الجسدية عن الأنبياء بل تنفي جعل الأنبياء جسداً لا يطعمون الطعام بمعنى "وما جعلنا الأنبياء قبله ذوي جسد غير طاعمين بل كانوا يأكلون ويشربون كسائر الناس"⁽⁴⁾، يقول درويش: "وجملة لا يأكلون الطعام في محل نصب نعت لجسداً، وجسد مفرد أريد به الجمع، وإنما وحده ليشمل الجنس عامة لأن الجسد لا بد له من غذاء"⁽⁵⁾.

ثم ما العجيب في أن يكون الأنبياء عليهم السلام من جنس البشر، لهم جسد البشر، ويعيشون حياة البشر، فيأكلون ويشربون ويمشون في الأسواق وهل لو جاء لهؤلاء الأقسام الذين كذبوا رسلهم بحجة بشريتهم وأكلهم للطعام والشراب، هل لو جاءهم ملك كما طلبوا سيؤمنون بنبوته ويطيعونه ويقفون به، بكل تأكيد لا!! لأن الذي منعه من اتباع الحق والتصديق به وقبول الآيات الظاهرة والدالة على صدق هؤلاء الأنبياء هو الكبر والتعالي بالرغم من قناعتهم بصدق رسالتهم وأن ما جاءوا به إنما هو من عند الله، قال تعالى: ﴿ وَحَمَدُوا بِهَا

(8) سورة الأنبياء: 8.

(1) سورة الفرقان: 7.

(2) الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري: معاني القرآن وإعرابه. ج 3 / ص 385. تحقيق الدكتور عبد الجليل عبده شلي. ط 1. بيروت: عالم الكتاب. 1408 هـ - 1988 م.

(3) الطبري، محمد بن جرير: جامع البيان عن تأويل آي القرآن. ج 17 / ص 5. بيروت: دار الفكر. 1405 هـ

(4) صالح، بهجت عبد الواحد: الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل. ج 7 / ص 190. ط 1. عمان: دار الفكر للنشر والتوزيع. 1414 هـ - 1993 م.

(5) درويش، محي الدين: إعراب القرآن الكريم وبيانه. ج 6 / ص 286. ط 4. بيروت: دار ابن كثير. 1415 هـ - 1994 م. وانظر: ياقوت، محمود سليمان: إعراب القرآن الكريم. ج 12 / ص 10. الكويت: دار المعرفة الجامعية.

وَأَسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴿١﴾، أي: "كفروا بها وأنكروها في الظاهر وقد استيقنت أنفسهم في الباطن أنها آيات من عند الله" (2).

وهذا الوصف للأنبياء - عليهم السلام - بأنهم (جسد) يوحى بحقائق مهمة ذات مضامين عقديّة وتربوية منها:

1- أن الأنبياء - عليهم السلام - لكونهم بشر فهم ليسوا ملائكة، فالملائكة مخلوقات نورانية وليسوا من خلق الأرض، أما الأنبياء - عليهم السلام - فهم مخلوقون من الأصل الذي خلق منه سائر البشر وهو (الطين)، ولذا فإن التجانس والتجاذب بينهم وبين باقي البشر أيسر وأسهل وأكثر سلاسة.

2- أن الأنبياء - عليهم السلام - لكونهم جسد فهم يأكلون ويشربون، وذلك أن الجسد من أهم خصائصه الأكل والشرب، وخاصية الأكل والشرب هي الأساس في استمرار الحياة، ولا تتم الحياة إلا بهما.

3- فيه تهكم بالمشركين لأنهم لما قالوا: ﴿مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْسُ فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُوبُ مَعَهُ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ لِإِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ (3)، فسؤالهم أن يأتي الرسول كما أرسل الأولون كان مقتضى أقوالهم أن الرسل الأولين كانوا في صور الأدميين لكنهم لا يأكلون الطعام، وأكل الطعام من لوازم الحياة، فلزمهم لما قالوا: ﴿مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ﴾، أن يكونوا قائلين بأن شأن الرسل أن يكونوا أجساداً بلا أرواح، وهذا قول سخيف (4).

(1) سورة النمل: 14.

(2) أبو حيان، محمد بن يوسف: تفسير البحر المحيط. ج 7/ ص 57. تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، وشارك في التحقيق: د. زكريا عبد المجيد النوقي و د. أحمد النجولي الجمل. ط 1. بيروت: دار الكتب العلمية. 1422هـ 2001م.

(3) سورة الفرقان: 7 8.

(4) انظر، ابن عاشور: التحرير والتنوير. ج 17 / ص 19.

4- "فيه بيان لكون الرسل - عليهم السلام - أسوة لسائر أفراد الجنس في أحكام الطبيعة البشرية"⁽¹⁾.

وقد دلت السنة المطهرة على أن الأنبياء جسد، ففي حديث أوس بن أوس قا : قال - صلى الله عليه وسلم -: ((إِنْ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ قُبِضَ، وَفِيهِ النَّفْخَةُ، وَفِيهِ الصَّعْقَةُ، فَأَكْثَرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ فَإِنْ صَلَاتِكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ)) قال: قالوا: يا رسول الله! وكيف تُعْرَضُ صَلَاتُنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أَرَمْتَ؟! قال: يقولون: بَلَيْتَ! فقال: ((إِنْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حَرَّمَ عَلَيَّ الْأَرْضَ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ))⁽²⁾. ومعنى الحديث أن الأنبياء - عليهم السلام - مهما بقوا في الأرض فإنها لا تأكل أجسادهم، على العكس من غيرهم الذين تبلى أجسادهم في الأرض، وهذه دلالة واضحة على أن الأنبياء كسائر البشر في كونهم جسد يلزمهم ما يلزم البشر من مأكّل ومشرب، حتى تنقضي بهم الحياة كغيرهم، ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾⁽³⁾، غير أن الله أكرمهم وميزهم عن سائر الخلق بأن حرّم أجسادهم على الأرض فتبقى كما كانت عليه في الحياة الدنيا.

ومن الملاحظ عند تتبع السياق القرآني، أن البدن إذا جاء مقروناً بالروح يسميه القرآن الكريم (جسماً)، فإذا كان معزولاً عن الروح يسميه (جسداً)، وقد دل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ﴾⁽⁴⁾، فتحدث عن بسطته في علمه وجسمه، ولم يقل جسده لأن السياق هنا يتحدث عن جسد ممزوج بالروح. وقوله تعالى عن المنافقين يؤكد هذه

(1) الألويسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. ج 17 / ص 13. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

(2) أبو داود، سليمان بن الأشعث: سنن أبي داود. ج 2 / ص 88. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. بيروت: دار الفكر. باب النهي عن أن يدعو الإنسان على أهله وماله. رقم الحديث (1531). قال الإمام النووي: "رواه أبو داود بإسناد صحيح". انظر، النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف: رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين. ج 1 / ص 255. ط3. بيروت: دار الفكر. 1421 هـ 2000 م.

(3) سورة الزمر: 30.

(4) سورة البقرة: 247.

النتيجة، قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنْهُمْ مُسْتَنَدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ فَنُلْهِمُ اللَّهُ أَنْ يَقُولُوا أَنِّي مُؤْمِنُونَ ٤﴾ (1)، فالتعبير القرآني بالجسم هنا كان لاقتران الروح بأجسادهم، على خلاف ما جاء السياق القرآني بالحديث عن الجسد الخالي من الروح ليسميه جسداً، كما في عجل بني إسرائيل الذي جمعه من الذهب والحلي التي كانت لديهم وجعلوا منه جسداً على شكل عجل، وبالتأكيد كان خالياً من الروح التي لا يمكن أن يضيفها للجسد سواء سبحانه وتعالى، يقول الله جل وعلا: ﴿وَأَخَذَ قَوْمٌ مِّنْ بَعْدِهِ مِمَّنْ حُلِّيَهُمْ عَجَلًا جَسَدًا لَّهُمْ خَوَارٌ ٢﴾ (2)

ويقول أيضاً: ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عَجَلًا جَسَدًا لَهُمْ خَوَارٌ ٣﴾ (3)، فالعجل هنا كان من الحلي المشكلة على هيئة عجل، فكان عجلاً بلا روح، غير أن الإمام الرازي نوّه في هذه المسألة إلى وجود خلاف في المقصود من الجسد فقال: "والجسد اسم للجسم الذي يكون من اللحم والدم، ومنهم من نازع في ذلك، وقال: بل الجسد اسم لكل جسم كثيف، سواء كان من اللحم والدم، أو لم يكن كذلك" (4)، ووجد القول في هذا صاحب الكشاف حين قال: "بدناً ذا لحم ودم كسائر الأجساد" (5).

وبالرجوع إلى المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (6)، نجد أن لفظة (جسد) ذكرت في القرآن الكريم 4 مرات في المواضع التالية:

1 - ﴿وَأَخَذَ قَوْمٌ مِّنْ بَعْدِهِ مِمَّنْ حُلِّيَهُمْ عَجَلًا جَسَدًا لَهُمْ خَوَارٌ ٢﴾ (7).

2 - ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عَجَلًا جَسَدًا لَهُمْ خَوَارٌ ٣﴾ (8).

(1) سورة المنافقون: 4.

(2) سورة الأعراف:

(3) سورة طه: 88.

(4) الرازي، فخر الدين محمد بن عمر التميمي: التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب. ج 15 / ص 7. ط 1. بيروت: دار الكتب العلمية. 1421 هـ . 2000 م.

(5) الزمخشري: الكشاف. ج 2 / ص 151.

(6) عبد الباقي، محمد فؤاد: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. ج 1 / ص 170. القاهرة: دار الكتب المصرية. 1364 هـ .

(7) سورة الأعراف: 148.

(8) سورة طه: 88.

3 - ﴿ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴾ (٨) (1).

4 - ﴿ وَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴾ (٣٤) (2).

أما كلمة (جسم) فوقع ذكرها في موضعين هما:

1- ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِعَ عَلِيمٌ ﴾ (3).

2- ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهمُ خَشَبٌ مُسْتَدَدٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعُدُو فَاخَذَهُمْ فَنَلَّهمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ (4).

وخلاصة ما توصل إليه الباحث أن الأنبياء أجساد مخلوقة مما خلق منه سائر البشر، ولا يتميزون عنهم بشيء سوى ما خصهم الله به من اصطفاء النبوة فيهم دون أحد من أقوامهم، وأن لفظة (جسد) تطلق على كل بدن سواء كان ذلك أصماً أو بلحم ودم على حد سواء، فإذا تعلق البدن بما يعقل يعني بالبشر سمي (جسماً)، والله أعلم.

(1) سورة الأنبياء: 8.

(2) سورة ص: 34.

(3) سورة البقرة: 247.

(4) سورة المنافقون: 4.

المبحث الثاني

الأنبياء - عليهم السلام - ليسوا آلهة

الأنبياء - عليهم السلام - بشر، بل هم خلاصة الجنس البشري، وخلاصة وطيب المدّ الإنساني، اصطفاهم الله عز وجل ليكونوا رسله للناس، يبلغون دعوته وينشرون دينه، وهذه هي الغاية الكبرى من إرسال الرسل، والفرق بينهم وبين باقي البشر في أنهم أعطوا القدرة على المعجزات لإثبات نبوتهم ورسالتهم، فظن بعض الناس أنهم بهذه المعجزات الخارقات للناموس الإنساني والطبيعة البشرية أنهم آلهة أو فيهم من خصائص الألوهية.

والقرآن الكريم قطع دابر أولئك الذين جعلوا من عيسى - عليه السلام - إلهًا أو جزءًا من إله، من خلال تكفيرهم، فقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾⁽¹⁾ "فهذا ذم من الله عز ذكره للنصارى الذين ضلوا عن سبل السلام، وفي هذا احتجاج منه لنبيه محمد - صلى الله عليه وسلم - في فريتهم عليه، وفي ادعائهم أن المسيح هو الله فرية وكذباً عليه"⁽²⁾، وقال سبحانه: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَحْدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾⁽³⁾ "فهذا التثليث إما أن يكون لاعتقادهم وجود صفات ثلاث أو لاعتقادهم وجود ذوات ثلاث، والأول باطل لأن المفهوم من كونه تعالى عالماً غير المفهوم من كونه قادراً ومن كونه حياً، وإذا كانت هذه المفهومات الثلاثة لا بد من الاعتراف بها، كان القول بإثبات صفات ثلاث من ضرورات دين الإسلام، فكيف يمكن تكفير النصارى بسبب ذلك! ولما بطل ذلك علمنا أنه تعالى إنما كفرهم لأنهم أثبتوا ذواتاً ثلاثة قديمة مستقلة"⁽⁴⁾.

(1) سورة المائدة: 17 72.

(2) انظر، الطبري: جامع البيان. ج 6 / ص 162 163.

(3) سورة المائدة: 73.

(4) الرازي: التفسير الكبير. ج 6 / ص 48.

والنصارى الضالون حين دخلت هذه القرية العظيمة في عقائدهم إنما كان سببها ثلاثة أمور:

الأول: ضلالهم وبعدهم عن تعلم العلم الصحيح الذي يُبصّرهم بحقيقة الأمر، فانقادوا لمن أمرهم بالكفر، من غير علم صحيح ولا عقل صريح.

الثاني: خلق عيسى - عليه السلام - بغير الطريقة والوسيلة التي خلق بها باقي البشر، والذي خرج عن الطبيعة البشرية والناموس الإنساني، فقد خلق بلا أب، فظن أولئك الضالون أن شيئاً من ذات الله سبحانه مسّت مريم - عليها السلام - حتى خرج عيسى - عليه السلام - إلى الدنيا بهذه الطريقة.

الثالث: المعجزات الباهرات التي أجزاها الله على يدي عيسى - عليه السلام -، والتي ما كان للعقل البشري أن يستوعب أنها من بشر لولا إيمانه بالغيب، فإله سبحانه أجرى على يدي عيسى - عليه السلام - إحياء الموتى، وإبراء الأكمه⁽¹⁾ والأبرص⁽²⁾، والإخبار بالأمور الغيبية من المأكل والمشرب، قال تعالى على لسان عيسى - عليه السلام - مخاطباً بني إسرائيل: ﴿إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَا أُولِي الْأَبْصَارِ إِنِّي أَرْسَلْتُ إِلَيْكَ مُوسَىٰ بِنِيءٍ أَنِ اقْبَلْ إِلَهُكَ فَإِذَا تَوَلَّىٰ سَخِرْنَا مِنْكُم مِّمَّنْ تَعْٰبَدُونَ وَإِنِّي أَرْسَلْتُ إِلَيْكَ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَإِنِّي أَرْسَلْتُ إِلَيْكَ يُجْرِي السَّيْحَانَ وَإِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾. (3)

فهذه الأسباب هي الأساس في حرف عقيدة التوحيد عند النصارى، إلى الإثراك بالله والاعتقاد بالوهية عيسى - عليه السلام -.

(1) الأكمه: هو الذي يولد مطموس العين، وقد يقال لمن تذهب عينه. الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن. ج 1 / ص 726. مادة (كمه).

(2) البرص: مرض أعادنا الله منه وهو بياض يظهر في ظاهر البدن. انظر، الفيروز أبادي: تاج العروس. ج 17 / ص 486. مادة (برص).

(3) سورة آل عمران: 49.

وقد جاء الرد عليهم حاسماً من الله سبحانه وتعالى، ومن عيسى - عليه السلام -، فالله عز وجل رد عليهم حين قال: ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَيَّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾⁽¹⁾، ففي هذا الرد الإلهي على هذه الفرية "دلالة على أن المسيح - عليه السلام - عبد مخلوق كسائر العباد، وأراد بعطف من في الأرض على المسيح - عليه السلام - وأمه أنهما من جنسهم، لا تفاوت بينهما وبينهم في البشرية"⁽²⁾.

وأما رد عيسى - عليه السلام - فقد جاء رداً قاطعاً مانعاً، فقد قال لهم: ﴿يَبْنَئِ إِسْرَؤِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ، مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٢٢﴾﴾⁽³⁾، ففي هذا الرد يعلن لهم عيسى - عليه السلام - "أنه هو وهم في العبودية سواء لربوبية الله الواحد الذي ليس له من شركاء"⁽⁴⁾.

وبعد هذا الرد من عيسى - عليه السلام -، واجههم الله سبحانه بالمنطق الواقعي العملي القويم وهو تذكيرهم ببشرية عيسى - عليه السلام -، من خلال لفت نظرهم إلى أكله وشربه، وهي من أخص خصائص البشرية، قال تعالى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَأَنَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ أَنْظُرْ كَيْفَ نَبِّئُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظِرْ أَنْ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾﴾⁽⁵⁾ يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله: "وأكل الطعام مسألة واقعية في حياة المسيح - عليه السلام - وأمه الصديقة، وهي خصيصة من خصائص الأحياء الحادثين ودليل على بشرية المسيح وأمه أو على ناسوته بتعبيرهم اللاهوتي، فأكل الطعام تلبية لحاجة جسدية لا وراء فيها، ولا يكون إلهاً من يحتاج إلى الطعام ليعيش، فالله حي بذاته، قائم بذاته، باق بذاته، لا يحتاج، ولا يدخل إلى ذاته سبحانه أو يخرج منها شيء حادث كالطعام"⁽⁶⁾، لأنه هو الصمد، الذي لا يحتاج إلى لأحد ويحتاجه كلُّ أحد، لكمال غناه سبحانه وتعالى.

(1) سورة المائدة: 17.

(2) الزمخشري: الكشاف. ج 1 / ص 652.

(3) سورة المائدة: 72.

(4) قطب، سيد: في ظلال القرآن. ج 2 / ص 945. ط 32. القاهرة: دار الشروق. 1423هـ 2003م.

(5) سورة المائدة: 75.

(6) قطب: في ظلال القرآن. ج 2 / ص 945.

ولقد شهد الله سبحانه وتعالى لأنبيائه - عليهم السلام - أنهم كانوا صادقين في دعوتهم لأقوامهم، وذلك في إبراز بشريتهم وأنهم عبيد لله، لا فرق بينهم وبين أقوامهم إلا بالرسالة والبيان، وكفى بالله شهيداً، قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّكُمْ عَلِيمُونَ الْكِتَابَ وَمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ (٧٩) (1)، والمعنى: "ما صح ولا استفهام من بشر يؤتيه الله الفهم والعلم أو الحكمة والنبوة، ليدعو الناس إلى الله بترك الأنداد، ثم يقول للناس اتخذوني رباً من دون الله، ولكن يقول لهم كونوا ربانيين، أي: منسوبين إلى الرب، لاستيلاء الربوبية عليهم، وطمس البشرية بسبب كونهم عالمين عاملين معلمين، تالين لكتب الله" (2).

وقد جاءت هذه الشهادة الربانية للأنبياء - عليهم السلام - في الدنيا، أما في الآخرة فإنهم يتبرؤون من حولهم وقوتهم ويلجؤون إلى الله تعالى، ولا يدعون شيئاً لأنفسهم من خصائص الله، وقد سطر القرآن الكريم موقفاً من مواقف الأنبياء - عليهم السلام -، لو تأمله أولئك الضالون لعلموا وتيقنوا مقدار السفه والطيش الذي كانوا فيه حين ادعوا لعيسى - عليه السلام - بعضاً من خصائص الألوهية، يقول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالِ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ ﴾ (١١٦) ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن أعبدوا الله ربي وربكم وكنتم عليهم شهيدياً ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد (١١٧) (3)، ما أعظم هذا الحوار وما أكمله!! "إن الله تعالى ليعلم ماذا قال عيسى - عليه السلام - للناس، ولكن الاستجواب الهائل الرهيب في اليوم العظيم المرهوب، الاستجواب الذي يقصد به إلى غير المسؤول، ولكن في صورته هذه وفي الإجابة عليه ما يزيد من بشاعة موقف المؤلهين لهذا العبد الصالح الكريم، إنها الكبيرة التي لا يطيق بشر عادي أن يقذف بها، أن يدعي الألوهية وهو يعلم

(1) سورة آل عمران: 79.

(2) القاسمي، محمد جمال الدين: محاسن التأويل. ج4 / ص873. تصحيح وترقيم وتخريج وتعليق: محمد فؤاد عبد الباقي. ط1. دار إحياء الكتب العربية. 1376هـ 1957م.

(3) سورة المائدة: 116 117.

أنه عبد، فكيف برسول من أولي العزم كيف بعيسى بن مريم وقد أسلف الله له هذه النعم كلها بعد ما اصطفاه بالرسالة وقبل ما اصطفاه "(1).

إنه من المحال أن يكون من الأنبياء من يَجْرؤُ على ادعاء الألوهية، لأنهم أعلم الناس بمقامها وخصائصها، والتي لا تكون إلا لله سبحانه وتعالى، ولذلك كان جواب عيسى - عليه السلام - في قمة العبودية والانكسار لله تعالى، وأنه لم يخالف أوامر الله، ولم يَحِدْ عن الهدف الأسمى من بعث الرسل جميعًا، فأخبر الله تعالى بجواب عيسى: ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ﴾، وبذلك قطع الطريق على كل من ادعى ألوهية عيسى - عليه السلام - أو غيره من الأنبياء، إذ كيف يكون إليها من يدعو إلى عبادة غيره فالأولى أن يدعو إلى عبادة نفسه وحاشاهم.

(1) قطب: في ظلال القرآن. ج 2 / ص 1001.

المبحث الثالث

الأنبياء - عليهم السلام - يبتلون ويمتحنون

الابتلاء له حكم وفوائد كثيرة، فهو يكفر الذنوب، كما جاء في حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه، وولده، وماله، حتى يلقي الله وما عليه خطيئة"⁽¹⁾، والابتلاء يرفع الدرجات فعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "ما يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ شَوْكَةٍ فَمَا فَوْقَهَا إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَةً أَوْ حَطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ"⁽²⁾، وبالابتلاء تتال محبة الله ثم الإمامة في الدين، روي أن سائلاً قال للشافعي يوماً: "أيا أفضل الصبر أو المحنة أو التمكين فقال الشافعي - رحمه الله -: التمكين درجة الأنبياء، ولا يكون التمكين إلا بعد المحنة، فإذا امتحن صبر، وإذا صبر مُكِّن، ألا ترى أن الله عز وجل امتحن إبراهيم - عليه السلام - ثم مكنه، وامتحن موسى - عليه السلام - ثم مكنه، وامتحن أيوب - عليه السلام - ثم مكنه، وامتحن سليمان - عليه السلام - ثم مكنه وآتاه ملكاً، والتمكين أفضل الدرجات"⁽³⁾.

وإن من مقتضى بشرية الأنبياء - عليهم السلام - أنهم يتعرضون للابتلاءات والمحن الشديدة منها والخفيفة، كما يتعرض لها باقي البشر بل هم أشد. مصداقاً لحديث مصعب بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه قال: سألت رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: من أشد الناس بلاء قال: ((النبيون ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان صلب الدين اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه، فما تبرح البلايا على العبد حتى تدعه يمشي

(1) الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى: الجامع الصحيح سنن الترمذي. ج 4 / ص 602. تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون. بيروت: دار إحياء التراث العربي. باب ما جاء في ذهاب البصر. رقم الحديث (2399). قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

(2) مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري: صحيح مسلم. ج 4 / ص 1991، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار إحياء التراث العربي. كتاب البر والصلة والآداب. باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحوه. رقم الحديث (2572).

(3) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد: إحياء علوم الدين. ج 1 / ص 26. بيروت: دار المعرفة.

على الأرض ليس عليه خطيئة))⁽¹⁾، فإن من نظر في سيرهم وما لاقوا من الابتلاءات، وما كانوا عليه من صبر، يدرك استحقاقهم لهذه المنزلة التي بلغهم الله إياها.

وقد حدثنا القرآن الكريم وكذلك السنة النبوية عن نماذج متعددة وألوان مختلفة من الابتلاءات التي تعرض لها الأنبياء - عليهم السلام - وسأذكر في هذا المبحث نماذج من تلك الابتلاءات التي تعرضوا لها ومنهم أولو العزم الذين ذكرهم الله تعالى في قوله: ﴿سَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾⁽²⁾.

أولاً: ابتلاءات نوح - عليه السلام - :

نوح - عليه السلام - هو أول الرسل إلى أهل الأرض فقد قال تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾⁽³⁾، وفي حديث الشفاعة العظمى يوم القيامة يقول صلى الله عليه وسلم : ((فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُونَ يَا نُوحُ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ...))⁽⁴⁾ وأحد أولي العزم من الرسل الذين سماهم الله في كتابه⁽⁵⁾ أوزي - عليه السلام - من قومه كثيراً، فصبر على أذاهم، وقد تنوع الأذى الذي لحق به وفقاً لما يأتي:

(1) ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد: مسند الإمام أحمد. ج 1 / ص 180. مصر: مؤسسة قرطبة. مسند أبي إسحاق سعد بن أبي وقاص. رقم الحديث (1555). وانظر، البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي: سنن البيهقي الكبرى. ج 3 / ص 372. تحقيق: محمد عبد القادر عطا. مكة المكرمة: مكتبة دار الباز. 1414 هـ - 1994 م. باب ما ينبغي لكل مسلم أن يستشعره من الصبر. رقم الحديث (6326). قال الألباني: حسن صحيح. انظر، الألباني، محمد ناصر الدين: سلسلة الأحاديث الصحيحة. ج 1 / ص 273. ط 1. الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع. 1415 هـ - 1995 م. رقم الباب (143).

(2) سورة الشورى: 13.

(3) سورة النساء: 163.

(4) البخاري: صحيح البخاري. ج 3 / ص 1215. كتاب الأنبياء. باب قول الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ﴾.

(5) انظر سورة الشورى: 13. وانظر سورة الأحزاب: 7.

1) اتهامه - عليه السلام - بالضلال:

اتهم قوم نوح نوحاً بالضلال، وفي هذا يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرُّكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾⁽¹⁾ "أي: في خطأ ظاهر، وضلالٍ بَيِّن، وقصدوا من ذلك ضلاله في المسائل الأربع التي ذكرها لهم، وهي: التكليف، والتوحيد، والنبوة، والمعاد. ولما ذكروا هذا الكلام أجاب نوح - عليه السلام -:- ﴿ قَالَ يَنْقُورُ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾⁽²⁾، أي: ليس بي نوع من أنواع الضلالة البتة، فكان هذا أبلغ في عموم السلب النفي - ثم إنه - عليه السلام - لما نفى عن نفسه العيب الذي وصفه به، ووصف نفسه بأشرف الصفات وأجلها، وهو كونه رسولاً إلى الخلق من رب العالمين ذكر ما هو المقصود من الرسالة وهو أمران الأول: تبليغ الرسالة، والثاني: تقرير النصيحة، فقال: ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾⁽³⁾،⁽⁴⁾.

2) اتهامه - عليه السلام - بالجنون من قبل قومه:

جاء في قوله تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ﴾⁽⁵⁾، فعندما جاءهم بدعوى الحق التي تعارضت مع عقولهم ومبادئهم التي وجدوا عليها آباءهم، لم يستطيعوا رد تلك الدعوى إلا بقذف صاحبها بالجنون، وخروجه عن مستوى الآدمية، وفيه "إشارة إلى أنه أتى بالآيات الدالة على صدقه، حيث رأوا ما عجزوا عنه، وقالوا: هو مصاب الجن، وفي هذا بيان قبح صنعهم، حيث لم يقنعوا بقولهم: إنه كاذب، بل أضافوا إليه الجنون، لأن الكاذب العاقل يقول ما يظن به أنه صادق، والكاذب المجنون يقول ما لم يقل به عاقل فبيِّن مبالغتهم في التكذيب"⁽⁶⁾، وهذا نهج قديم جديد لكل المعاندين والمكذبيين، فهم يلجأون إلى مثل هذه الطرق من

(1) سورة الأعراف: 60.

(2) سورة الأعراف: 61.

(3) سورة الأعراف: 62.

(4) الرازي: التفسير الكبير. ج 14 / ص 122.

(5) سورة القمر: 9.

(6) انظر، الرازي: التفسير الكبير. ج 29 / ص 32.

القذف والافتهام عندما تكون الآيات الواردة تدل على صدق صاحب الدعوى، وفي ذلك يقول أبو حيان: "هو مجنون لما رأوا الآيات الدالة على صدقه"⁽¹⁾.

(3) تهديده - عليه السلام - بالرجم:

لم يكتف المكدبون لنوح باتهامه بالضلال والجنون، بل هددوا برجمه كما قال تعالى: ﴿قَالُوا لَنْ نَمُنَّ بِكَ نَحْنُ وَنُوحٌ وَلَنْ نَمُنَّ بِمَا نَكْفُرُ﴾⁽²⁾، أي: المرميين بالحجارة كما روي عن قتادة، وهو توعده بالقتل كما روي عن الحسن، وأخرج عن السدي أن المعنى: من المشتمين⁽³⁾ "على أن الرجم مستعار للشتم كالطعن"⁽⁴⁾ وفي إرشاد العقل السليم: "أنه مقاتلهم الله تعالى قالوا ذلك في أواخر الأمر"⁽⁵⁾.

(4) مقابلة نوح - عليه السلام - بالسخرية والتهكم:

عندما أبلغ الله نوحاً أنه لن يدخل في دعوته من قومه أحد بعد الذين آمنوا معه، أمره بصناعة الفلك، وذلك استعداد للحظة الفصل بينه وبين قومه، قال تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدَّ أَمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾⁽⁶⁾، وهذا "يقضي تعريف نوح - عليه السلام - أنه معذبهم ومهلكهم، فكان يحتمل أن يعذبهم بوجوه التعذيب، فعرفه الله تعالى أنه يعذبهم بهذا الجنس الذي هو الغرق، ولما كان السبيل الذي يحصل به النجاة من الغرق تكوين السفينة، لا جرم أمر الله

(1) أبو حيان: البحر المحيط. ج 8 / ص 174 - 175.

(2) سورة الشعراء: 116.

(3) انظر، أبا حاتم، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي: تفسير ابن أبي حاتم. ج 8 / ص 2789. تحقيق أسعد محمد الطيب. صيدا: المكتبة العصرية.

(4) الألويسي: روح المعاني. ج 19 / ص 108 - 109.

(5) أبو السعود، محمد بن محمد العمادي: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم. ج 6 / ص 255. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

(6) سورة هود: 36 - 37.

تعالى بإصلاح السفينة وإعدادها، فأوحى الله تعالى إليه أن يصنعها على مثال جَوْجُؤ⁽¹⁾ الطائر"⁽²⁾، وبالرغم من إخبار الله تعالى لنوح بذلك إلا أنه استمر في دعوة قومه ولم يتوقف، فما على الرسول إلا البلاغ المبين.

وامتثالاً لأمر الله تعالى بدأ نوح بصناعة الفلك انتظاراً لوعده الله بهلاك الفئة الضالة، فكان التهمك والسخرية مرتعاً لقومه ضده، استهزاءً بصنعه للفلك في صحراء قاحلة لا يمكن لمثل هذا الصنع أن يتوافق مع بيئتهم، ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكَلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ نَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾⁽³⁾ ولا يعيب نبي الله نوحاً أن قابل سخريتهم بسخريته منهم عندما يحل بهم وعد الله بالغرق في الدنيا والعذاب في الآخرة، وكان دافع السخرية هي عنادهم وعدم تصديقهم بما وعدهم به من العذاب، يقول العلامة الألوسي: "وإطلاق السخرية عليهم حقيقة، وعليه عليه السلام للمشاكلة لأنها لا تليق بالأنبياء - عليهم السلام -، وفسرها بعضهم بالاستجهال، وهو مجاز لأنه سبب للسخرية فأطلقت السخرية وأريد سببها، وقيل: إنها منه - عليه السلام - لما كانت لجزائهم من جنس صنيعهم لم تُفجح، فلا حاجة لارتكاب خلاف الظاهر"⁽⁴⁾.

ثانياً: ابتلاءات إبراهيم - عليه السلام -:

إبراهيم - عليه السلام - أبو الأنبياء وإمام الأتقياء، وقدوة المرسلين، دعا قومه بوسائل عديدة، فأذوه واعتدوا عليه، فصبر على أذاهم وبليتهم، ومن أكثر وأشهر الابتلاءات التي حدثت معه:

(1) الجَوْجُؤ: عظام صدر الطائر، ويطلق على صدر السفينة. انظر، الأزهرى، أبو منصور محمد بن أحمد: تهذيب اللغة.

ج 11 / ص 162. ط 1. تحقيق محمد عوض مرعب. بيروت: دار إحياء التراث العربي. 2001م.

(2) الرازي: التفسير الكبير. ج 17 / ص 177.

(3) سورة هود: 38 39.

(4) الألوسي: روح المعاني. ج 12 / ص 51.

1) محاربة أبيه له ولمبدئه:

من المحن التي واجهت إبراهيم - عليه السلام - أن أباه كان من أكابر كفار قومه الذين يعبدون الأصنام، فلما دعاه إبراهيم - عليه السلام - لعبادة الله وحده ونبذ عبادة الأصنام هدده بالرجم والهجر، قال تعالى مصوراً ذلك الحوار الذي جرى بينه وبين أبيه: ﴿وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ٤٢﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ٤٣﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ٤٤﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ٤٥﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ الْهَيْئَةِ يَا إِبْرَاهِيمُ لِمَ لَمْ تَتَّبِعْ لِأَرْحَمِنَا وَأَهْجُرِنِي مَلِيًّا ٤٦﴾ قَالَ سَلَّمَ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ٤٧﴾ (1).

إن المتأمل في هذا الحوار الأدبي الرائع من ابن لأبيه، ليرى لمسة الحب والحنان من الولد إلى والده، ويستظهر مدى حرص إبراهيم - عليه السلام - على هداية والده، فما أصعب أن ترى من كان سبباً لوجودك في هذه الدنيا على ضلال وانحراف، وتحرص بحرقه بالغة لتوصله إلى بر الأمان فلا تستطيع!! بلاء عظيم، وامتحان كبير، عندما يكون المعاند لك ولدعوتك هو أبوك! ثم تأمل عبارات التودد التي سلكها إبراهيم مع والده: (يا أبت) (فاتبعني أهدك) (إني أخاف أن يمسه عذاب)، نداء محبة ومودة، وعبارات حرص وقلق، لعلها تلامس شغاف قلبه، فيستيقظ داع الخير عنده، ولكن: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ (2) فأنت "لا تقدر على هداية أحد، ولو كان من أحب الناس إليك، فإن هذا أمر غير مقدور للخلق هداية للتوفيق وخلقاً للإيمان في القلب، وإنما ذلك بيد الله تعالى، يهدي من يشاء، وهو أعلم بمن يصلح لها" (3)، ثم يصعب البلاء على إبراهيم - عليه السلام - بردّ والده عليه بكل قسوة وإيذاء: ﴿لَمَّا تَتَّبِعْ لِأَرْحَمِنَا وَأَهْجُرِنِي مَلِيًّا﴾، أي: "لأرمينك بلساني، يريد الشتم والذم، ومنه (الرجيم) المرمي باللعن، أو لأقتلنك من رجم الزاني، أو لأطردنك رمياً بالحجارة" (4)، وعلى اختلاف تلك المعاني إلا أنه اجتمع فيها قصد الإيذاء، فكان الصبر على الأذى، والسلام والاستغفار للمؤذي،

(1) سورة مريم: 41 - 47.

(2) سورة القصص: 56.

(3) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. ج1 / ص620. تحقيق: ابن عثيمين.

بيروت: مؤسسة الرسالة. 1421هـ - 2000م.

(4) الزمخشري: الكشاف. ج3 / ص22.

هو موقف إبراهيم - عليه السلام - ﴿قَالَ سَلِّمْ عَلَيَّ﴾ "سلام عليك، سلام توديع و متاركة. وبادرُهُ به قبل الكلام الذي أعقبه به إشارة إلى أنه لايسوؤه ذلك الهجر في ذات الله تعالى ومرضاته، ومن حلم إبراهيم أن كانت متاركته أباه مثوبة بالإحسان في معاملته في آخر لحظة"⁽¹⁾. وبالرغم من وعيد أبيه له إلا أنه أظهر مدى حرصه على هدايته، ووصله إلى عبادة الله وحده دون سواه، ﴿سَأَسْتَغْفِرُكَ رَبِّي﴾ "أي: أطلب منه لك المغفرة من هذا الكفر، بأن يهديه الله إلى التوحيد، فيغفر له الشرك الماضي"⁽²⁾.

(2) إلقاء إبراهيم - عليه السلام - في النار:

حين تخلف نوح عن قومه في مناسبة لهم، ﴿فَنظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ﴾ ﴿قَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ ﴿فَنُوحُوا عَنْهُ مُدْبِرِينَ﴾⁽³⁾، وكان - عليه السلام - "لما أوهموا أنه يمازح بما خاطبهم به في أصنامهم، أظهر - عليه السلام - ما يعلمون به أنه مجد في إظهار الحق الذي هو التوحيد، وذلك بالقول أولاً وبالفعل ثانياً، فكانت الطريقة الفعلية متمثلة في قوله: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدْبِرِينَ﴾⁽⁴⁾، فإن القوم لما لم ينتفعوا بالدلالة العقلية، عدل إلى أن أراهم عدم الفائدة في عبادتها"⁽⁵⁾، فاستفرد - عليه السلام - بألتهتهم، ليوصل رسالة إليهم أنها لا تضر ولا تنفع، بل لا تستطيع دفع الضرر عن نفسها أو حماية نفسها، ﴿فَرَأَع عَلَيْهِمْ صَرِيحاً بِالْيَمِينِ﴾⁽⁶⁾ "أي: مال إلى الأصد نام ي ضربها ض رباً بيمينه"، وفي هذا يقول جل وعلا: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُودًا﴾⁽⁷⁾ إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿⁽⁸⁾ "وإنما استبقى الكبير لأنه غلب في ظنه أنهم لا يرجعون إلا إليه، لما تسامعوه من إنكاره لدينهم، وسبه لألتهتهم، فيبكتهم بما أجاب به من قوله: ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسَأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾⁽⁹⁾"⁽¹⁰⁾، فقامت الحجة

(1) ابن عاشور: التحرير والتنوير. ج 16 / ص 121.

(2) المرجع السابق.

(3) سورة الصافات: 88 - 90.

(4) الأنبياء: 57.

(5) انظر، الرازي: التفسير الكبير. ج 22 / ص 157.

(6) سورة الصافات: 93.

(7) أصلها جَدٌّ، والجد: كسر الشيء وتفتيته. انظر، الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن. كتاب الجيم. ج 1 /

ص 117.

(8) سورة الأنبياء: 58.

(9) سورة الأنبياء: 63.

(10) الزمخشري: الكشاف. ج 3 / ص 124.

عليهم، ونال إبراهيم - عليه السلام - مبتغاه من إظهار بطلان عبادة أصنام لا تضر ولا تنفع نفسها، فضلاً عن أن تضر أو تنفع غيرها، وكان ذلك بالحجة والبرهان الناصعين، فلا يترك مجالاً إلا لمتكبر جاحد أن ينكر حقيقة هذه الأصنام، ولذلك أجابوا: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾ (1)، فما بالك تدفعنا لسؤالها؟ غير أنه توبيخ منك لعبادتنا لها (2).

وبالرغم من ظهور الحجة وثبوت المحجة إلا أن الكبر والتعالي - كما مرّ سابقاً - دفعهم إلى الانتقام منه جزاء فعله، "وهكذا المَبْطَل إذا قُرِعَتْ شُبُهَتُهُ بِالْحُجَّةِ وافتضح، لم يكن أحد أبغض إليه من المُحَقِّ، ولم يَبْقَ له مَفْرَعٌ إِلَّا مُنَاصِبَتَهُ الْعِدَاءَ، كما فعلت قريش برسول الله صلى الله عليه وسلم - حين عجزوا عن المعارضة (3)، فأشعلوا له ناراً عظيمة، وتنادوا فيما بينهم: ﴿حَرْقُوهُ وَأَنْصُرُوا إِلَهَتَكُمْ﴾ (4)، فاختاروا أشد أنواع التعذيب ألماً وإهلاكاً، وهي الحرق بالنار، ولكن في هذه اللحظات العصبية، وعند شدة البلاء وبوجود التوكل على الله والاعتصام به سبحانه، ومع توجه إبراهيم - عليه السلام - إلى ربه قائلاً: حسبي الله ونعم الوكيل، جاء الفرج من الله تعالى: ﴿قُلْنَا يَنْدَارُ كُوفِي بَرْدًا وَسَلَّمًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ (5)، فلا يمكن أن يترك الله عباده المخلصين الموحدين بلا نصره وبلا معونته: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (6)، بشارة ووعده من الله بالنصر، ليس للأنبياء فقط، بل لكل من آمن به وسار على طريقه، واستخدام لفظ (حقاً) فيه زيادة على تأكيد الوعد بالنصر. فكانت النار برداً على إبراهيم - عليه السلام -، لا ضرر فيها، لأن الله أتبعها بقوله (وسلاماً).

وهنا أشير إلى لطيفة من لطائف القدرة الإلهية، فإن الله تعالى خلق العناصر، وجعل لكل منها خاصية تميزها عن غيرها، ولكن عندما تتدخل القدرة الإلهية، فإن كل الخصائص تصبح بلا قيمة، فالله سبحانه سحب من النار خاصية الإحراق نصرة لإبراهيم - عليه السلام -

(1) سورة الأنبياء: 65.

(2) انظر أبا حيان: البحر المحيط. ج 6 / ص 303.

(3) الزمخشري: الكشاف. ج 3 / ص 126.

(4) سورة الأنبياء: 68.

(5) سورة الأنبياء: 69.

(6) سورة الروم: 47.

وتوضيحاً لكل البشرية بأن الحق منتصر دوماً، مهما تكاثفت الجهود لإسقاطه أو كسر شوكته، ومصدقا لحديث المصطفى - صلى الله عليه وسلم - : "وَأَعْلَمُ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ"⁽¹⁾.

(3) ابتلاء إبراهيم بذبح ولده:

بعد أن نجى الله إبراهيم - عليه السلام - من كيد قومه له، ومحاولة حرقه، هاجر إلى بلاد الشام، وكان قد بلغ من الكبر عتياً، فتمنى من الله أن يهبه من الذرية الصالحة ما يكون عوضاً له عن قومه وعشيرته الذين فارقه، قال تعالى على لسانه: ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ الصَّالِحِينَ ﴾⁽²⁾، أي: "بعض الصالحين، يعينني على الدعوة والطاعة، ويؤنسيني في الغربية، والتقدير: ولداً من الصالحين، وحذف لدلالة الهبة عليه، فإنها في القرآن وكلام العرب غلب استعمالها مع العقلاء في الأولاد"⁽³⁾، فبشره الله بما تمنى، وأعطاه ما طلب، ﴿ فَبَشَّرْنَاهُ بِعَلِيمٍ ﴾⁽⁴⁾ "وهذا الغلام هـ و إسماعيل - عليه السلام -، فإنه أول ولد بُشِّرَ به إبراهيم - عليه السلام -، وهو أكبر من إسحاق باتفاق المسلمين وأهل الكتاب"⁽⁵⁾، وفي لفظة (حليم) بشارة على بشارة، بشره "أنه يكون حليماً في كبره، فكأنه بشر ببقاء ذلك الولد، لأن الصغير لا يوصف بذلك"⁽⁶⁾، فلما رزق إبراهيم - عليه السلام - بهذا الغلام أحبه حباً جماً، فابتلاه الله بهذا الحب، وكان البلاء عظيماً، حيث أمره الله بذبح ولده من خلال رؤيا أراه إياها في منامه، ويعلم إبراهيم - عليه السلام - أن رؤيا الأنبياء حق، ووحى من الله كالوحي في اليقظة، فكان وقع هذه

(1) الترمذي: سنن الترمذي. ج 4 / ص 667. كتاب صفة القيامة. باب (59). رقم الحديث (2516). قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. وقال الألباني: حديث صحيح. انظر، الألباني، محمد ناصر الدين: صحيح وضعيف الترمذي. ج 6 / ص 16. مصر: مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة. رقم: (2516).

(2) سورة الصافات: 100.

(3) الألويسي: روح المعاني. ج 23 / ص 127.

(4) سورة الصافات: 101.

(5) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم. ج 4 / ص 15.

(6) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري: الجامع لأحكام القرآن. ج 15 / ص 98. القاهرة: دار الشعب.

الرؤيا على إبراهيم - عليه السلام - كوقع الصاعقة، ولكن أمر الله أحب إليه من الدنيا وما فيها فخطب ولده بأمر ربه وأخبره بما أراد له، فكان الثبات من الولد دافعاً لثبات والده والتزامه بأمر ربه، وهذا نتاج التربية الصالحة وبركة الدعاء الصادق.

ومضى إبراهيم - عليه السلام - بأمر ربه حتى جاء الفرج، يقول الله تعالى مصوراً هذه الحادثة: ﴿فَمَا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَىٰ قَالَ يَبْنَئِي إِنِّي آرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَأَنْظُرُ مَاذَا تَرَىٰ ۗ قَالَ يَتَأْتِيَ أَحْمَدُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٤﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٥﴾ وَتَدِينَهُ أَن يَتَّيَّرَهُمْ ﴿١٠٦﴾ قَدْ صَدَّقَتِ الرَّؤْيَا إِنَّا كَذَّاكُ بَجَرِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٧﴾ إِنَّكَ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٨﴾ وَفَدَيْنَهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٩﴾﴾ (1)، فبعد أن تمنى إبراهيم - عليه السلام - الولد، ودعا الله أن يرزقه الذرية الصالحة، وبعد تحقق ما تمنى وبلوغ ولده مرحلة (السعي) "أي: يسعى مع أبيه في أشغاله وحواله" (2)، جاءت الرؤيا قوية في الامتحان، عظيمة في البلاء، فقصده إبراهيم - عليه السلام - ولده ليخبره برؤياه ويبلغه أمر الله، "وبالرغم من غضاضة سنه وتقلبه في حدّ الطفولة، كان فيه من رصانة الحلم، وفسحة الصدر، ما جسّره على احتمال تلك البلية العظيمة، والإجابة بذلك الجواب الحكيم" (3)، وكان جوابه أن امض يا أبت لما أمرك الله وستجدني صابراً محتسباً لذلك عند الله، فكانت تلك الإجابة برداً وسلاماً على والده، أسعدته وأراحته من مجاهدته لابنه عند تنفيذ أمر الله. ثم إن إبراهيم - عليه السلام - لم يشاوره ليرجع إلى رأيه، ولكن ليعلم ما عنده فيثبت قلبه، ويوطن نفسه على الصبر، فأجابه بأحسن جواب" (4)، فلما سلّم أمرهما الله تعالى بامتثال إبراهيم - عليه السلام - لأمر ربه وبطاعة إسماعيل عليه السلام لربه ووالده؛ جاء الفرج من عند الله، فكان الفداء لإسماعيل بكبش عظيم، وهذه هي سنة الله تعالى في البلاء، حيث يكون عظيماً للعظماء،

(1) سورة الصافات: 102 - 107.

(2) الزمخشري: الكشاف. ج 4 / ص 55.

(3) انظر، المرجع السابق.

(4) الكلبي، محمد بن أحمد بن محمد: التسهيل لعلوم التنزيل. ج 3 / ص 174. ط 4. لبنان: دار الكتاب العربي. 1403 هـ -

فأشد الناس بلاء الأنبياء، ﴿إِنَّ هَذَا هُوَ أَلْبَتُوا الْمَيِّنُ﴾ (١٠٦)؛ "أي: الاختبار البين الذي يتميز فيه المخلصون وغيرهم، أو المحنة البينة الصعوبة التي لا محنة أصعب منها"⁽¹⁾.

من هذه الحادثة نرى أن التكليف لم يكن الغرض منها الامتثال لأمر الله وتنفيذه فحسب، بل فيها من شدة البلاء ما يجعل الإنسان حائراً في الامتثال، وبذلك يثبت الصادق في إيمانه، ويزيغ المنافق عن ذلك، يقول الإمام الشنقيطي: "اعلم أن قصة الذبيح هذه، تؤيد أحد القولين المشهورين عند أهل الأصول في حكمة التكليف، هل هي للامتثال فقط أو هي مترددة بين الامتثال والابتلاء؟ لأنه بين في هذه الآية الكريمة، أن حكمة تكليفه لإبراهيم بذبحه ولده ليست هي امتثاله ذلك بالفعل لأنه لم يرد ذبحه كوناً وقدرًا، وإنما حكمة تكليفه بذلك مجرد الابتلاء والاختبار، هل يصم على امتثال ذلك أولاً كما صرح بذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا هُوَ أَلْبَتُوا الْمَيِّنُ﴾ (١٠٦) وَفَدَيْنَهُ بِذَبِيحٍ عَظِيمٍ (١٠٧)﴾⁽²⁾، فتبين بهذا التحقيق أن حكمة التكليف مترددة بين الامتثال والابتلاء"⁽³⁾.

ثالثاً: ابتلاءات يوسف - عليه السلام - :-

يوسف عليه السلام نبي من أنبياء الله المكرمين، ذكره الله وأثنى عليه بقوله: ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ (٤٤)⁽⁴⁾، ووصفه بأوصاف العفة والنزاهة، وذكره النبي - صلى الله عليه وسلم - في حديثه فقال عنه: ((إن الكريم بن الكريم بن الكريم بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق ابن إبراهيم خليل الله))⁽⁵⁾، أفرد الله له سورة كاملة باسمه ذكر فيها قصته وما دار فيها من أحداث على خلاف بقية الأنبياء الذين ذكرت قصصهم ومشاهدتها في سور متعددة، وإن سميت بعض السور بأسمائهم، إلا أنها لم تتعلق عليهم وحدهم، هذه السورة هي سورة (يوسف) وهي مكية، نزلت قبل الهجرة، وكان نزولها تسليية لقلب رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

(1) أبو حيان: البحر المحيط. ج 7 / ص 356.

(2) سورة الصافات: 106 107.

(3) الشنقيطي: أضواء البيان. ج 6 / ص 318.

(4) سورة يوسف: 24.

(5) البخاري: صحيح البخاري. ج 3 / ص 1298. كتاب المناقب. باب من انتسب إلى آبائه في الإسلام والجاهلية.

وتخفيفاً له عما لقي من أذى قومه فالله سبحانه بين له فيها مراحل تنقل يوسف - عليه السلام - في البلاء ونصرة الله له في كل وقت وحين، فهي رسالة أن الله سينصرك على أعدائك مهما بلغ كيدهم ومهما علت سطوتهم.

وسأطرق في بحثي من خلال دراسة سورة يوسف إلى تلك الابتلاءات المتنوعة، والتي كلما خرج من إحداها دخل في الأخرى، ومن هذه الابتلاءات:

1) الابتلاء بحسد الأخوة:

الحسد في اللغة أصله من: " حَسَدَهُ يَحْسُدُهُ وَ يَحْسُدُهُ حَسَدًا، وَ حَسَدَهُ إِذَا تَمَنَّى أَنْ تَتَحَوَّلَ إِلَيْهِ نِعْمَتُهُ وَفَضِيلَتُهُ أَوْ يَسْلُبَهُمَا"⁽¹⁾ وقد عرفه الراغب الأصفهاني بأنه: "تمني زوال نعمة من مستحقها وربما كان مع ذلك سعي في إزالتها"⁽²⁾، والحسد مرض خطير وداء عظيم وهو مذموم في كتاب الله تعالى وشرائعه، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ شَرَّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۖ ﴾⁽³⁾، ومنهي عنه في أخلاقيات الدين الإسلامي، وإذا انتشر في مجتمع كانت حياته جحيماً وهلاكه سريعاً، نسأل الله العافية.

وهذا ما حدث مع يوسف وأخوته، فقد كان يوسف -عليه السلام- أحب ولد يعقوب - عليه السلام - إليه، وكان هذا الحب واضحاً ملموساً أمام أخوته، من حيث تعامله معه ورفقه به وحرصه عليه، مما دفعهم لكرهيته ومعاداته، فأفرز هذا الكره والعداء مكيدة لأخيه تبعده عن أبيهم، فتبقى المحبة لهم دون غيرهم، مع أن يعقوب - عليه السلام - لم يكن يميز في تعامله معهم فلا يعدل بينهم، بل كان حبه في قلبه مائلاً ليوسف وأخيه، وهذا مما لا طاقة للإنسان عليه، كما جاء في الحديث عن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يَفْسِمُ فَيَعْدِلُ وَيَقُولُ: ((اللهم هذا قَسَمِي فِيمَا أَمْلِكُ، فَلَا تَلْمَنِي فِيمَا تَمْلِكُ وَلَا أَمْلِكُ))⁽⁴⁾ يَعْنِي الْقَلْبَ، وبالعودة إلى أخوة يوسف يخبر الله تعالى عنهم بقوله: ﴿ إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ

(1) ابن منظور: لسان العرب. ج 3 / ص 148. مادة (حَسَدَ).

(2) الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن. ج 1 / ص 154.

(3) سورة الفلق: 5.

(4) أبو داود: سنن أبي داود. ج 2 / ص 242. باب في القسم بين النساء. رقم الحديث (2134). قال الألباني: ضعيف.

انظر، الألباني، محمد ناصر الدين: صحيح وضعيف سنن أبي داود. ج 1 / ص 2. مصر: مركز نور الإسلام

لأبحاث الكتاب والسنة. رقم: (2134)

إِلَىٰ آيَاتِنَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ آبَاءَنَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾⁽¹⁾، فهم "تفاوضوا فيما بينهم، وأظهروا الحسد الذي كانوا يضمرونه لقرب منزلته عند أبيهم دونهم"⁽²⁾، وقصدوا بضلال والدهم أي: "عن صواب الرأي لأنه كان أصغر منهم، وكان عندهم أن الأكبر أولى بتقديم المنزلة من الأصغر، ومع ذلك فإن الجماعة من البنين أولى بالمحبة من الواحد"⁽³⁾. وهذا ما ينتج عن الحسد، نار تحرق قلوب الحاسدين، فتحرق من بعدها حياة المحسودين، وبالرغم من صغر يوسف - عليه السلام -، وكونه لا يملك من أمره شيئاً ليدفع عن نفسه الأذى والضرر، إلا أن الله تكفله وحفظه وأخرجه من ذلك الضيق، وكذلك يفعل الله بعباده المؤمنين المخلصين.

2) الابتلاء بالرمي بالبئر والرق:

كانت نتيجة الحسد الذي ملأ قلوب أخوة يوسف له أنهم أخذوا يدبرون له مكيدة تصرفه من حياتهم، وتجعل أباهم يعطيهم كل اهتمامه وحبه، يقول سيد قطب مصوراً لهذا الحدث: "ثم يغلي الحقد ويدخل الشيطان، فيختل تقديرهم للوقائع، وتتضخم في حسهم أشياء صغيرة، وتهون أحداث ضخام. تهون الفعلة الشنعاء المتمثلة في إزهاق روح، روح غلام بريء لا يملك دفعا عن نفسه، وهو لهم أخ وهم أبناء نبي وإن لم يكونوا هم أنبياء يهون هذا وتضخم في أعينهم حكاية إيثار أبيهم له بالحب، حتى توازي القتل أكبر جرائم الأرض قاطبة بعد الشرك بالله"⁽⁴⁾.

قال تعالى متحدثا بحالهم وحوارهم: ﴿ أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴿٩﴾⁽⁵⁾، ولكن الأمر استقر بعد أخذ وردٍ بينهم على رميه بالجيب ﴿ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا نَقْتُلُ يُوسُفَ وَالْقُوَّةُ فِي غَيْبَتِ الْجُبِّ يَلْقَاهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿١٠﴾⁽⁶⁾، وبهذا

(1) سورة يوسف: 8.

(2) الجصاص، أحمد بن علي الرازي أبو بكر: أحكام القرآن. ج 4 / ص 380. تحقيق محمد الصادق قمحاوي. بيروت: دار إحياء التراث العربي. 1405هـ.

(3) المرجع السابق. ج 4 / ص 380 - 381.

(4) قطب: في ظلال القرآن. ج 4 / ص 1973.

(5) سورة يوسف: 9.

(6) سورة يوسف: 10.

يبرؤون من خطيئة القتل ويُحققون مرادهم بإبعاده من حياتهم، وربما كان دافع عدولهم عن القتل إلى الإلقاء في الجب هو شفقتهم على يوسف - عليه السلام -⁽¹⁾.

بدأ العمل على تنفيذ ما أجمعوا عليه، فتوجهوا لأبيهم بطلب اصطحابه معهم لرعي الغنم فيلعب ويمرح معهم، وأعطوه تأكيداً على حفظه ورعايته: ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾⁽²⁾، فبينوا في طلبهم حرصهم على أخيهم بأن يرتع في خصيب أراضيهم فيأكل ما يطيب له من ثمارها ويلعب معهم صنوف اللعب التي يحدث بها التسلية والمتعة، "والرتع أصله أكل البهائم، يقال: رَتَعَ يَرْتَعُ رُتُوعًا وَرِتَاعًا وَرَتِعًا، قال تعالى: ﴿يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ﴾، ويستعار للإنسان إذا أريد به الأكل الكثير"⁽³⁾، وما قصدوا من اللعب إلا المباح، لأنه لو كان غير ذلك لأنكره عليهم أبوهم يعقوب - عليه السلام -⁽⁴⁾.

فوافق أبوهم بعد أن أوضح لهم حزنه وخوفه عليه ولكنهم أجابوه على ذلك: ﴿قَالَ إِنِّي لِيَحْزَنُ أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّمْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾⁽⁵⁾، فلما صار بين أيديهم تناولوه بالضرب والسخرية والضحك حتى وصلوا به إلى الجب المراد له فألقوه فيه، وكان إذ ذاك صغيراً لا يملك من أمره شيئاً، ولكن رعاية الله وتكفله بعباده المؤمنين كانت كفيلة بإخراجه من هذا الضيق، فأرسل الله له قافلة متجهة إلى بلاد مصر فحملته معها مستبشرة به كبضاعة للبيع، ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَبُشْرَىٰ هَذَا غُلْمٌ وَأَسْرُوهُ بَضْعَةً وَآلِهَةً عَلَيْهِ مَا يَعْمَلُونَ﴾⁽⁶⁾ وَشَرُّهُ يَشْمَنُ بِحَسَنِ دَرَاهِمٍ مَعْدُودَةٍ

(1) انظر، الشوكاني، محمد بن علي بن محمد: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير. ج 3 / ص8. بيروت: دار الفكر.

(2) سورة يوسف: 12.

(3) الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن. كتاب الرأ. ج 1 / ص248.

(4) انظر، الجصاص: أحكام القرآن. ج 4 / ص381.

(5) سورة يوسف: 13 - 14.

وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴿٢٠﴾⁽¹⁾، وبذلك تتوالى النكبات والابتلاءات لنبي الله يوسف - عليه السلام -، ففي هذه المرحلة يدخل عالم الرق بعد أن كان حُرّاً مكرماً بين أهله ووطنه.

ولعلي هنا أشير إلى إشارة تربوية، حيث لا ينبغي للمربي أن يثير لمن يربيهم أضراراً يتذرعون بها، خاصة إذا أحسَّ منهم سوء فِعْلة أو نية، فيعقوب - عليه السلام - أظهر خوفه على ولده من أكل الذئب، ووقوعه ضحية له، فكان هذا الأمر هو عذر أخوته عندما عادوا لأبيهم وقد فعلوا ما فعلوا بيوسف - عليه السلام -.

(3) الابتلاء بالسجن:

لم يكن بلاء الرق ليوسف - عليه السلام - هو نهاية المطاف في سلسلة الابتلاءات التي تعرض لها، فبعد أن دخل يوسف - عليه السلام - بيت عزيز مصر، وكان يملك من الجمال درجة عالية، وصفها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في حديثه عن حادثة المعراج حيث قال: ((ثُمَّ عَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّلَاثَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ قَالَ: مُحَمَّدٌ - صلى الله عليه وسلم - قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ فَفَتَحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ - صلى الله عليه وسلم - إِذَا هُوَ قَدْ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ))⁽²⁾ فكان هذا الجمال مصدر فتنة لامرأة العزيز حتى دفعها ذلك إلى مراودته عن نفسه، فهيات لذلك الظرف المكاني وتجملت بكامل زينتها وغلقت الأبواب ثم دعته إلى نفسها، يقول الله تعالى: ﴿وَرَاودَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَعَلَّقَتْ الْأَبْوَابَ﴾⁽³⁾ وإنما كان السبب في غلق الأبواب هو الحرص على الستر وعدم فضح أمرها، لأن مثل تلك الأعمال لا تكون إلا في الأماكن المستورة وخصوصاً إذا كانت علاقة محرمة، فتكون مقترنة بالخوف والفرع من فضح الأمر⁽⁴⁾.

(1) سورة يوسف: 19 - 20.

(2) مسلم: صحيح مسلم. ج 1 / ص 146. كتاب الإيمان. باب الإسراء برسول الله. رقم الحديث (162).

(3) يوسف: 23.

(4) انظر، الرازي: التفسير الكبير. ج 18 / ص 90.

وبعد تغليقها الأبواب نقرأ: ﴿وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ (1)، "أي: أسرع" (2)، أو بمعنى: "هلم لك" (3). ولكن كيف لهذا الشاب العفيف الشريف أن يخون أمانة من أكرمه وأحسن إليه فيعبث بعرضه وأهل بيته! بل قبل ذلك كيف يعتدي على حرمة من حرمت الله، التي أعد الله لمن حفظ نفسه عنها ظلاً يقية حر يوم القيامة! يقول المصطفى - صلى الله عليه وسلم -: ((سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ.... وذكر منهم.... وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالَ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ)) (4)، لذلك كله؛ ما كان من يوسف عليه السلام إلا أن تركها مسرعاً ومسابقاً لها إلى الأبواب المغلقة، ولا محل ال وصف الدقيق لهذا ال حدث يذكره القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١٥) قَالَ هِيَ زَوَدْتَنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (١٦) وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ (١٧) فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ (٢٨) يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ (٢٩) (5) لكن امرأة العزيز تصر على أن يطيعها يوسف هذا الأمر المحرم وتتوعده إن لم يفعل بالسجن والصغار: ﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَنِي فِيهِ وَلَقَدْ زودته عن نفسه فاستعصم ولين لم يفعل مآء امرؤه ليسجنن وليكونا من الصغرين﴾ (٣٢) (6) ويختار يوسف - عليه السلام السجن على أن يقع فيما حرم الله: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (٣٣) (7) "أي: أتر عندي، لأن فيه مشقة قليلة نافذة، إثرها راحات كثيرة أبدية، ﴿مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ من مواتاتها التي تؤدي إلى الشقاوة والعذاب الأليم" (8).

(1) سورة يوسف: 23.

(2) الألويسي: روح المعاني. ج 12 / ص 211.

(3) الطبري: جامع البيان. ج 12 / ص 178.

(4) البخاري: صحيح البخاري. ج 1 / ص 234. كتاب الجماعة والإمامة. باب فضل العشاء في الجماعة. رقم الحديث (629).

(5) سورة يوسف: 25 29.

(6) سورة يوسف: 32.

(7) سورة يوسف: 33.

(8) الألويسي: روح المعاني. ج 12 / ص 235.

لقد صبر يوسف - عليه السلام - على مرارة القهر والظلم بالسجن بضع سنين، ولما كان الفرج لم يرسل الله صاعقة تخلع باب السجن، ولم تكن رعدة تصدع جدرانه، بل أرسل الله رؤيا تسللت في سكون الليل إلى منام الملك لتكون فرجاً ومخرجاً ليوسف - عليه السلام - فأكرمه الله بأن جعله على خزائن الأرض. ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۗ ﴿١﴾ (1).

إن قصة يوسف عليه السلام التي ذكرها القرآن الكريم، لم تركز على يوسف النبي فقط بل تناولت يوسف الإنسان البشري حتى نعلم أن ما مر به يمكن أن يمر به أي واحد من البشر وأن نقنتدي به في ما يقع علينا من فترات الشدة والرخاء، فهي تجربة إنسانية كانت نهايتها نصراً في الدنيا، ومثوبة في الآخرة، فقد نجح سيدنا يوسف - عليه السلام - حين قاوم امرأة العزيز، ومغريات نساء المدينة، ونجح عندما أصبح عزيز مصر، ونجح عندما عفا وسامح أخوته، وجمع شمل أهله به بعد غربة السنوات الطوال. إنها قصة نجاح إنسانية رائعة قصة إنسان صبر ولم ييأس بالرغم من كل الظروف التي واجهها، فمن أراد النجاح فعليه بتقوى الله واللجوء إليه والصبر على مصائب الدنيا، ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ۖ ﴿١٠﴾ (2).

رابعاً: ابتلاءات أيوب - عليه السلام - :-

أيوب - عليه السلام - هو من أنبياء الله الذين جاء ذكرهم في القرآن الكريم، وكان مثلاً للصبر والجلد على البلاء، حيث أصبح الناس يضربون بصبره المثل فيقولون: (صبر أيوب).

وقد أنعم الله على أيوب - عليه السلام - بنعم كثيرة، وبعد تلك النعم كان الله إرادة أخرى، فبدأ البلاء بأيوب - عليه السلام - تباعاً، ونزل البلاء بجسده فأضعفه وأضناه، فلم يقابل

(1) سورة الطلاق: 2 3.

(2) سورة يوسف: 90.

كل ذلك إلا بالصبر والجلد، فلبث به البلاء سنين طويلة، حتى توجه إلى الله تعالى، ماداً يد التضرع والخضوع له سبحانه، ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (1)

"وأيوب هنا في دعائه لا يزيد على وصف حاله: ((أني مسني الضر))، ووصف ربه بصفته: ((وأنت أرحم الراحمين)) ثم لا يدعو بتغيير حاله، صبراً على بلائه، ولا يقترح شيئاً على ربه، تأدباً معه وتوقيراً، فهو نموذجٌ للعبد الصابر، لا يضيق صدره بالبلاء، ولا يتململ من الضر الذي تضرب به الأمثال في جميع الأعصار، بل إنه ليتحرج أن يطلب إلى ربه رفع البلاء عنه، فيدع الأمر كله إليه، اطمئناناً إلى علمه بالحال وغناه عن السؤال" (2)، فلما كان هذا حاله من الصبر على بلاء الله، وحسن الأدب مع الله، وصدق اللجوء إليه، جاء الفرج عقباً للدعاء والمناداة: ﴿فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرِّهِ وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَعِندَنَا وَذَكَرْنَا لِلْعَالَمِينَ﴾ (3).

إن من كريم نعم الله على عباده أنه يكافئهم على صبرهم واحتسابهم، فيعوضهم في الدنيا ما ينسيهم بلاءهم، وفي الآخرة: ﴿إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (4).

(1) سورة الأنبياء: 83.

(2) قطب: في ظلال القرآن. ج 17 / ص 2392.

(3) سورة الأنبياء: 84.

(4) سورة الزمر: 10.

المبحث الرابع

الأنبياء عليهم السلام يعملون ويشغلون

لقد جاء دين الله بدستور عظيم، يدعو فيه إلى الجد والاجتهاد والعمل، ولم يكن هذا في شريعة الإسلام فحسب بل جاء في كل الشرائع، لأن العمل أساس بناء المجتمع واستقراره، وتسيير أموره واستمرار الحياة فيه، وقد اهتم الإسلام بهذا الجانب وأولاه قيمة كبيرة، قال تعالى: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ عَمَلِكُمْ وَرَسُولِهِ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَرُدُّوكَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ (1) وإن كانت الآية في سياقها تتحدث عن العمل الأخروي، الذي يجزى صاحبه بالجنة إن أحسن عمله، وبالنار إذا أساءه إلا أن مضمون الآية وروحها يحث على الجد والاجتهاد لأن نتيجته تعود على صاحبه بالنفع والخير.

وبالرغم من أن هدف خلق الإنسان هو العبادة، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ (2)، إلا أن الإسلام حث على طلب الرزق بعد الفراغ منها: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾﴾ (3)، قال ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية: "لما حجر عليهم في التصرف بعد النداء، وأمرهم بالاجتماع، أذن لهم بعد الفراغ في الانتشار في الأرض، والابتغاء من فضل الله" (4)، وفي موضع آخر أوضح سبحانه أن الأرض ذللت للبشرية من أجل طلب الرزق، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾ (5)، فالله تعالى يمتن على عباده بما نال لهم من الأرض "بأنه خلقها هينة لهم، صالحة للسير فيها، مخرجة لأرزاقهم" (6)، فكان ذلك التسخير والتذليل للأرض "لتدركوا منها كل ما تعلقت به حاجتكم، من غرس وبناء، وحرث

(1) سورة التوبة: 105.

(2) سورة الذاريات: 56.

(3) سورة الجمعة: 10.

(4) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم. ج 4 / ص 368.

(5) سورة الملك: 15.

(6) ابن عاشور: التحرير والتنوير. ج 29 / ص 31.

وطرق يتوصل بها إلى الأقطار النائية، والبلدان الشاسعة، ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾ أي: لطلب الرزق والمكاسب⁽¹⁾.

والأنبياء - عليهم السلام - هم خلاصة البشر وقوتهم، وتجري عليهم خصائص البشرية في العمل وطلب الرزق، ولذلك عملوا في مجالات شتى، بجانب دعوتهم إلى الله تعالى، فكل دعواتهم وشرائعهم تمقت الكسل والتواكل، فعن المقدم - رضي الله عنه - عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: "ما أكلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا من أَنْ يَأْكُلَ من عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ - عليه السلام - كان يَأْكُلُ من عَمَلِ يَدِهِ"⁽²⁾، فجعل النبي عليه الصلاة والسلام الخيرية في كسب اليد، وبذل الجهد في تحصيل الرزق والعمل على ذلك، وذكر من الأنبياء من هذا نهجه وطريقته، وهو داود - عليه السلام -، وقد سئل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن أفضل الكسب فقال: ((بيع مبرور وعمل الرجل بيده))⁽³⁾.

مما تقدم نستخلص مدى حرص الشرائع السماوية على العمل وإعمار الأرض، وبذلك تتحقق إيجابية الشخصية البشرية، وتستوفى شروط الخلافة في الأرض، على أن تكون تلك الأعمال على أكمل الوجوه إتقاناً، وذلك لا يكون إلا إذا انبثق عن نية سليمة خالصة، والنية السليمة الخالصة تدفع إلى الإتيان الذي يحبه الله تعالى، فانه يجب إذا عمل أحدنا عملاً أن يتقنه، بل إن الإتيان من صفات ذي الجلال سبحانه: ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾⁽⁴⁾، ومما يجدر العلم به أن العمل الدنيوي المباح، يكون عبادة يتقرب بها إلى الله عز وجل، إذا توافرت فيها النية الحسنة والإتقان.

(1) السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. ج 1 / ص 877.

(2) البخاري: صحيح البخاري. ج 2 / ص 730. كتاب البيوع وقول الله عز وجل: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾. باب السهولة والسماحة في الشراء والبيع. رقم الحديث (1966).

(3) ابن حنبل: مسند الإمام أحمد. ج 3 / ص 466. مسند أبي بردة بن بنار. رقم الحديث (15874). وانظر، الطبراني: المعجم الكبير. ج 4 / ص 276. رواية عباية بن رفاعة. رقم الحديث (4411). قال الألباني: صحيح، رواه الطبراني في الكبير والأوسط ورواه ثقات.

(4) سورة النمل: 88.

وبعد هذا المدخل اليسير، أتطرق إلى بعض النماذج التي حدثنا عنها القرآن الكريم عن عمل الأنبياء - عليهم السلام -:

(1) نوح - عليه السلام - والنجارة:

لقد سلك نوح مع قومه كل وسائل الدعوة وطرقها، ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْوَابَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَأَسْتَعْشَوْا نِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ ﴿١﴾، ومكث فيهم من أكثر الفترات التي يمكنها نبي مع قومه: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٤﴾ ﴿٢﴾، وبعد هذه المدة الطويلة من الدعوة، ومع تنوع الأساليب والطرق، أوحى الله له أن لن يؤمن أحد بعد الفئة التي آمنت: ﴿ وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا نُبْتِسِئَ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ ﴿٣﴾، عند ذلك دعا عليهم: ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَر عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٣٦﴾ ﴿٤﴾ فاستجاب الله له، وأخبره أن هلاكهم سيكون بالغرق، لذلك أوحى له أن يتخذ وسيلة للنجاة بنفسه وقومه من المؤمنين: ﴿ وَأَصْنَعِ الْفُلَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا ﴿٥﴾، حاملاً معك ما تحتاجه الأرض لإعمارها من باقي الكائنات: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ ﴿٦﴾.

لقد قام نوح - عليه السلام - بتنفيذ أمر الله، وعم - عليه السلام - في بناء هذه السفينة، وكان في ذلك إشارة واضحة أنه من جنس البشر، لا يزيد عليهم، ولا يختلف عنهم سوى بهذه الرسالة التي شرفه الله بها، وكان أدائه في هذا العمل غاية في الروعة والإتقان، فقد

(1) سورة نوح: 5 - 10.

(2) سورة العنكبوت: 14.

(3) سورة هود: 36.

(4) سورة نوح: 26.

(5) سورة هود: 37.

(6) سورة هود: 40.

حملت السفينة في جوفها من كل زوجين اثنين، بالإضافة إلى الفئة المؤمنة من قومه، فاستيعابها لهم دليل على متانتها، ودقة عملها، وإتقان بنائها، فكانت سبيلاً لنجاتهم بأمر الله.

(2) موسى - عليه السلام - يرمى الغنم:

لقد تعرض موسى - عليه السلام - منذ صغره إلى مواقف عظيمة، تجلت فيها رعاية الله له وامتتانه عليه، فمن إلقائه في اليم وهو طفل رضيع وحرمانه من أمه، إلى دخوله قصر الطاغية فرعون، ومحاوره الزوجين على إبقائه قرّة عين لهما، إلى تحريم المراضع عليه ليعود إلى أحضان أمه، كل ذلك والله يتكفله ويرعاه.

فلما بلغ سن الرشد والسعي حدثت له حادثة عظيمة، فقد قتل بالخطأ شخصاً من شيعة فرعون وأتباعه، ﴿فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾﴾ (1)، وبعد هذه الحادثة صار خائفاً في المدينة حذراً في تحركه، حتى بلغه من رجل صالح أن القوم يتآمرون عليه لقتله ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢٠﴾﴾ فخرج منها خائفاً يترقب ﴿قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾﴾ (2)، فكانت وجهته تلقاء (مدين)، حيث أكرمه الله فيها برعاية وحفاوة، فقد مر في طريقه إليها بقوم يسقون أغنامهم من بئر لهم، وكان على بعد منهم امرأتان تنتظران فراغ القوم، فتقدم -عليه السلام- بمروءته وشهامته، وسقى لهما، وقضى حاجتهما، وعادتا إلى البيت، وقد وصف الله هذا المشهد في كتابه العزيز: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾ فسقى لهما ثم تولى إلى الظل فقال ربّ إني لما أنزلت إليّ من خير فقير ﴿٢٤﴾﴾ (3)، فلما علم والدهما بعمله أرسل في طلبه، فلما حضر أخبره خبره، فطمأنه أنه في مأمن وأن الله قد نجاه وحفظه: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا

(1) سورة القصص: 15 - 16.

(2) سورة القصص: 20 - 21.

(3) سورة القصص: 23 - 24.

جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٥٥﴾⁽¹⁾، وعند ذلك طلبت إيداعه أن يستأجر هذا الرجل لرعاية أغنامهم فهو أهل لذلك، فعرض الأمر عليه وتم الاتفاق بينهما على ذلك مقابل زواجه من إحدى بناته: ﴿قَالَتْ إِحْدَى ابْنَاتِي تَبَتَّ ابْتِغَاءَ خَيْرٍ مِنْ ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ الْأَمِينِ ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حِجَجٍ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَ عَلَيْكَ سَكِينَةً إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٦٧﴾ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجْلَيْنِ فَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٨﴾⁽²⁾، ومن هنا كان عمل موسى - عليه السلام - الذي تفرغ له هو رعاية الأغنام تلك السنين، وما من نبي إلا رعى الغنم، وكان لذلك حكمة يقول ابن حجر: "الذي قاله الأئمة أن الحكمة في رعاية الأنبياء للغنم ليأخذوا أنفسهم بالتواضع وتعناد قلوبهم بالخلوة ويترقوا من سياستها إلى سياسة الأمم"⁽³⁾.

(3) داوود - عليه السلام - والحدادة:

لقد جاء ذكر داوود - عليه السلام - في كتاب الله الكريم في أكثر من موضع، وهو من الأنبياء الذين أنزل عليهم كتاب من السماء، حيث أعطي - عليه السلام - الزبور، قال تعالى: ﴿وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴿١١٣﴾﴾⁽⁴⁾، وكان داوود - عليه السلام - نبياً في بني إسرائيل، وكان معروفاً بجمال صوته وروعته، وقد ورد عن رسولنا - صلى الله عليه وسلم - ما يدل على ذلك، فعن أبي موسى رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لَأَبِي مُوسَى: ((لو رَأَيْتَنِي وَأَنَا أَسْتَمِعُ لِقِرَاءَتِكَ الْبَارِحَةَ، لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَارًا مِنْ مِزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ))⁽⁵⁾.

(1) سورة القصص: 25.

(2) سورة القصص: 26 - 28.

(3) ابن حجر، أحمد بن علي أبو الفضل العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري. ج 6/ص 439. تحقيق محب الدين الخطيب. بيروت: دار المعرفة.

(4) سورة النساء: 163، والإسراء: 55.

(5) مسلم: صحيح مسلم. ج 1 / ص 546. كتاب صلاة المسافرين وقصرها. باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن. رقم الحديث (793).

5- القدور وهي: جمع قدر، والقدر اسم لما يطبخ فيه اللحم⁽¹⁾.

6- راسيات: من الرُسُو، يقال: رَسَا الشيء يَرُسُو رَسًا: ثَبَتَ وأرساه غيره⁽²⁾.

وبعد هذا العرض لأصناف عملهم، يوجه الله الإنسانية كلها من خلال خطابه لآل داوود -عليه السلام - بالعمل والجد والاجتهاد، والحرص على الكسب، مصاحباً ذلك الشكر لله تعالى على نعمه الغزيرة، وآلائه الوفيرة، ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾، ثم قال سبحانه: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ﴾، وفي هذا التعقيب تقريري وتوجيهي من تعقيبات القرآن على القصص، يكشف من جانب عن عظمة فضل الله ونعمته حتى ليقول القادرون على شكرها، ويكشف من جانب آخر عن تقصير البشر في شكر نعمة الله وفضله، وهم مهما بالغوا في الشكر قاصرون عن الوفاء، فكيف إذا قصرُوا وغفلوا عن الشكر من الأساس!⁽³⁾.

(4) السنة المطهرة تذكر عمل بعض الأنبياء عليهم السلام :-

من المعلوم أن السنة المطهرة جاءت مفصلة وموضحة لمجمل القرآن الكريم، ولذلك كانت المصدر الثاني للتشريع، وإن كانت دراستي تختص بالقرآن الكريم إلا أنه لا مانع من ذكر بعض ما جاء في السنة المطهرة من ذكر لعمل الأنبياء - عليهم السلام -، فالغرض من ذلك كله إثبات بشريتهم، وأنهم يحتاجون ما يحتاجه البشر، ومن الأدلة على ذلك:

1- عن ثابتٍ، عن أبي رافعٍ، عن أبي هريرةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - قال: ((كان زكريا نجارًا))⁽⁴⁾.

(1) انظر، الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن. ج 1 / ص 660.

(2) انظر، المرجع السابق. ج 1 / ص 354.

(3) قطب: في ظلال القرآن. ج 5 / ص 2899.

(4) مسلم: صحيح مسلم. ج 4 / ص 1847. كتاب الفضائل. باب من فضائل زكريا -عليه السلام-. رقم الحديث

(2379).

2- عن عَمْرُو بن يحيى عن جَدِّه، عن أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: ((مَا بَعَثَ اللهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الْغَنَمَ، فَقَالَ أَصْحَابُهُ: وَأَنْتَ؟ فَقَالَ: نَعَمْ؛ كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ لِأَهْلِ مَكَّةَ))⁽¹⁾.

(1) البخاري: صحيح البخاري. ج 2 / ص 789. كتاب الإجارة. باب رعي الغنم على قراريط. رقم الحديث (2143).

الفصل الثالث

الأنبياء عليهم السلام والكمال البشري

المبحث الأول: كمال الأنبياء عليهم السلام في الخلقة والنسب.

المبحث الثاني: كمال الأنبياء عليهم السلام في الأخلاق.

المبحث الثالث: كمال الأنبياء عليهم السلام في العقل والقدرة.

المبحث الأول

كمال الأنبياء - عليهم السلام - في الخلقة والنسب

خلق الله الإنسان وجعل غاية خلقه أن يكون خليفة في الأرض كي يعمرها قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ (1) ففي الآية امتتان على جنس بني آدم، حيث ذكرهم عنده في الملاء الأعلى قبل إيجادهم (2) ومنذ اللحظة الأولى لخلق الإنسان حباه الله بالتكريم والإنعام فكرمه بأمر الملائكة بالسجود له قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ (3)، وقد لاحظ إبليس -عليه لعنة الله- هذا التكريم، قال تعالى مخبراً عنه: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾ (4) ومعنى الإكرام والتكريم: "أن يوصل إلى الإنسان إكرام أي: نفع لا يلحقه فيه غضاضة أو أن يجعل ما يوصل إليه شيئاً كريماً أي: شريفاً" (5) ولقد تحدث الله تعالى عن تكريمه للإنسان صراحة بقوله: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَجْدِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ (6) يقول الإمام الرازي: "ويكون المراد من الكرامة حُسْن الصورة" (7).

ومن التكريم الذي منحه الله لبني آدم أن خلقهم فأحسن صورهم وجعلهم من أجمل المخلوقات على الإطلاق وعلى أكمل الهيئات وأحسنها فإن الإنسان يمشي على رجليه منتصباً ويأكل بيديه وغيره من المخلوقات الحيوانية يمشي على أربع ويأكل بفمه (8).

(1) سورة البقرة: 30.

(2) انظر، ابن كثير: تفسير القرآن العظيم. ج 1 / ص 70.

(3) سورة البقرة: 34.

(4) سورة الإسراء: 62.

(5) الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن. ج 2 / ص 293.

(6) سورة الإسراء: 70.

(7) الرازي: التفسير الكبير. ج 2 / ص 205.

(8) انظر، الشنقيطي: أضواء البيان. ج 3 / ص 175.

ولقد ذكر الله هذا الامتتان حقيقة راسخة في كتابه فقال سبحانه: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (1)، أي: "في أحسن تعديل لشكله وصورته وتسوية لأعضائه" (2)، فالإنسان أجمل المخلوقات خلقاً، وأكملها شكلاً، وأفضلها منزلة ومكرمة، فكانت صورته من أبدع الصور على الإطلاق، قال تعالى: ﴿وَصَوَّرَكُمُوهَ وَأَحْسَنَ صُورَكُمُوهَ﴾ (3)، يقول أبو السعود في تفسيره معلقاً على هذه الآية: "حيث برأكم في أحسن تصوير، وأودع فيكم من القوى والمشاعر الظاهرة والباطنة ما نيظ بها عن الكمالات البارزة والكامنة، وزينكم بصفوة صفات مصنوعاته، وخصكم بخلصة خصائص مبدعاته، وجعلكم أنموذج جميع مخلوقاته في هذه النشأة" (4).

والأنبياء - عليهم السلام - كما تحقق لنا سابقاً في هذه الدراسة هم من بني البشر فهم على خلقتهم وشكلهم وطباعهم، وقد منحهم الله في ذلك خلقة سوية، فكانت خلقتهم الظاهرة تجعل من أقوامهم مقبلين عليهم غير مدبرين مستأنسين بهم غير نافرين ومن خلال متابعتي لآيات القرآن الكريم لم أجد أن القرآن الكريم قد تطرق إلى هذا الجانب سوى ما ذكره عن جمال يوسف -عليه السلام- حيث بلغ من جماله أن قطعت النسوة أيديهن لحظة خروجه عليهن قال تعالى في وصف ذلك: ﴿فَلَمَّا رَأَيْتَهُ أَكْبَرْتَهُ وَوَقَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ (5) وذلك "لأنهن لم يرين في البشر شبيهه ولا قريباً منه فإنه - عليه السلام - كان قد أعطي شطر الحسن كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح (6) (7).

وليس الأنبياء كلهم على هيئة واحدة وحال واحد أو لهم صورة متطابقة بل هم متنوعون في ظاهر خلقتهم وهذا من بديع خلقه سبحانه. ثم إنهم - عليهم السلام - كانوا على

(1) سورة التين: 4.

(2) الزمخشري: الكشاف. ج 4 / ص 779.

(3) سورة التغابن: 3.

(4) أبو السعود: إرشاد العقل السليم. ج 8 / ص 255.

(5) سورة يوسف: 31.

(6) انظر، مسلم: صحيح مسلم. ج 1 / ص 146. كتاب الإيمان. باب الإسراء برسول الله. رقم الحديث (162).

(7) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم. ج 2 / ص 477.

صورة أقوامهم وعلى هيئاتهم فكل نبي كان يحمل ملامح قومه والبيئة التي عاش فيها وبعث منها فيتوافق معهم فيأنسونه.

وقد جاء في سنة المصطفى - صلى الله عليه وسلم - ما فيه وصف لبعض الأنبياء - عليهم السلام - ففي حديث الإسراء والمعراج عن ابن عباس - رضي الله عنهما - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: ((رَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي مُوسَى رَجُلًا آدَمَ طَوَالًا جَعْدًا كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنْوَاءَ⁽¹⁾ وَرَأَيْتُ عِيسَى رَجُلًا مَرْبُوعًا مَرْبُوعَ الْخَلْقِ إِلَى الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ سَبَطَ الرَّأْسِ⁽²⁾) وفي رواية أبي هريرة قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ((لَيْلَةَ أُسْرِي بِي رَأَيْتُ مُوسَى وَإِذَا هُوَ رَجُلٌ ضَرْبُ رَجُلٍ⁽³⁾ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنْوَاءَ، وَرَأَيْتُ عِيسَى إِذَا هُوَ رَجُلٌ رَبْعَةٌ⁽⁴⁾ أَحْمَرٌ، كَأَنَّمَا خَرَجَ مِنْ دِيمَاسٍ⁽⁵⁾)).⁽⁶⁾

وقد أجاد الصحابة رضوان الله عليهم في وصف نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - فقد جاء عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - يَصِفُ النَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم - قال: ((كَانَ رَبْعَةً مِنَ الْقَوْمِ لَيْسَ بِالطَّوِيلِ وَلَا بِالْقَصِيرِ أَزْهَرَ اللَّوْنِ لَيْسَ بِأَبْيَضَ أَمْهَقَ وَلَا آدَمَ لَيْسَ بِجَعْدٍ قَطَطٍ وَلَا سَبَطٍ رَجُلٍ⁽⁷⁾)) وسئل أبو هريرة - رضي الله عنه - عن صفة النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: ((كَانَ أَحْسَنَ النَّاسِ صِفَةً وَأَجْمَلَهَا، كَانَ رَبْعَةً إِلَى الطَّوْلِ مَا هُوَ، بَعِيدَ مَا بَيْنَ الْمَنْكِبَيْنِ، أَسِيلَ الْجَبِينِ، شَدِيدَ سَوَادِ الشَّعْرِ، أَكْحَلَ الْعَيْنَيْنِ أَهْدَبَ، إِذَا وَطِئَ بِقَدَمِهِ وَطِئَ بِكُلِّهَا،

- (1) قبيلة من اليمن. انظر، ابن منظور: لسان العرب. ج 1 / ص 102. مادة (شنا).
- (2) البخاري: صحيح البخاري. ج 3 / ص 1182. كتاب بدء الخلق. باب إذا قال أحدكم آمينَ وَالْمَلَائِكَةُ فِي السَّمَاءِ فَوَافَقَتْ إِحْدَاهُمَا الْآخَرَى غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ. رقم الحديث (3067).
- (3) صفة للشعر، وهو ما بين السُّبْطَةِ والجَعُودَةِ. انظر، ابن منظور: لسان العرب. ج 11 / ص 272. مادة (رجل).
- (4) الرَّبْعُ: المنزل ودار الإقامة. والرَّبْعَةُ أخص من الربع، والربع المَحَلَّةُ. انظر، ابن منظور: لسان العرب. ج 8 / ص 102. مادة (ربع).
- (5) الحَمَّامُ. انظر، ابن منظور: لسان العرب. ج 6 / ص 88. مادة (دمس).
- (6) المرجع السابق. ج 3 / ص 1243. كتاب باب قولِ اللَّهِ تَعَالَى: (وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى) (وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا). رقم الحديث (3214).
- (7) البخاري: صحيح البخاري. ج 3 / ص 1302. كتاب المناقب. باب صفة النبي - صلى الله عليه وسلم. رقم الحديث (3354). وانظر، الحميدي، محمد بن فتوح: الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم. ج 2 / ص 535. ط 2. تحقيق: د. علي حسين البواب. بيروت: دار ابن حزم. 1423 هـ 2002م. رقم الحديث (1899).

ليس أخص، إذا وضع رداءه عن منكبيه فكانه سبيكة فضة، وإذا ضحك يتلألاً، لم أر قبله ولا بعده مثله - صلى الله عليه وسلم -⁽¹⁾. وكان عليه الصلاة والسلام أشبه ما يكون بنبي الله إبراهيم - عليه السلام - كما جاء في الحديث الصحيح: ((وأنا أشبه وُد إبراهيم به))⁽²⁾ وإنما المقصود من الشبه هنا شبه الخلقة لأن الحديث في سياق الوصف الخلقية.

ومما يدل على كمال الأنبياء في خلقتهم الظاهرة ما ذكره الله من إيذاء بني إسرائيل لنبي الله موسى عليه السلام وكيف برأه الله من أذاهم واتهامهم قال تعالى: ﴿يَتَأَيَّأ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادُوا مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً﴾⁽³⁾ ومما جاء في هذا الإيذاء حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن موسى كان رجلاً حياً ستيراً لا يرى من جلده شيء استحياء منه فأذاه من آذاه من بني إسرائيل فقالوا: ما يستتر هذا التستر إلا من عيب بجلده إما برص وإما أذرة وإما آفة وإن الله أراد أن يبرئه مما قالوا لموسى فحلاً يوماً وحده فوضع ثيابه على الحجر ثم اغتسل فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها وإن الحجر عدا بثوبه فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر فجعل يقول: ثوبي حجر ثوبي حجر حتى انتهى إلى ملأ من بني إسرائيل فرأوه عرياناً أحسن ما خلق الله وأبرأه مما يقولون وقام الحجر فأخذ ثوبه فلبسه، وطفق بالحجر ضرباً بعصاه، فوالله إن بالحجر لندباً⁽⁴⁾ من أثر ضربه ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً⁽⁵⁾). قال ابن حجر معقباً على هذا

(1) البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين: دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة. ج 1 / ص 275. تحقيق الدكتور عبد المعطي قلعي. ط 1. بيروت: دار الكتب العلمية.

(2) البخاري: صحيح البخاري. ج 3 / ص 1243. كتاب الأنبياء. باب قول الله تعالى: (وهل أتاك حديث موسى)، (وكلم الله موسى تكليماً). رقم الحديث (3214).

(3) سورة الأحزاب: 69.

(4) الندبة: أثر الجرح إذا لم يرتفع عن الجلد، وفي حديث موسى شبه أثر الضرب في الحجر بأثر الجرح. انظر، ابن منظور: لسان العرب. ج 1 / ص 753. مادة (ندب).

(5) البخاري: صحيح البخاري. ج 3 / ص 1249. كتاب الأنبياء. باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام. رقم الحديث (3223).

الحديث: "وفيه أن الأنبياء في خَلْقِهِمْ وَخُلُقِهِمْ على غاية الكمال وأن من نسب نبياً من الأنبياء إلى نقص في خلقته فقد آذاه ويخشى على فاعله الكفر"⁽¹⁾.

وكما كرم الله الأنبياء عليهم السلام في خلقتهم الظاهرة فقد جعلهم مكرمين في أنسابهم فجميعهم ذوي أنساب كريمة وكانوا من عليّة قومهم ومن أفضلهم يقول الشيخ الأشقر: "الرسل ذوو أنساب كريمة فجميع الرسل بعد نوح من ذريته وجميع الرسل بعد إبراهيم من ذرية إبراهيم قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِمْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ﴾⁽²⁾ ولذلك فإن الله سبحانه يصطفي لرسالته من كان خيار قومه في النسب"⁽³⁾ وقد جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((بُعِثْتُ مِنْ خَيْرِ قُرُونِ بَنِي آدَمَ قَرْنَا قَرْنَا حَتَّى كُنْتُ مِنَ الْقَرْنِ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ))⁽⁴⁾ فكان في خير القبائل وأرفعها مكانة ونسباً.

والأنبياء عليهم السلام أحرار بعيدون عن الرق فالرق وصف نقص لا يليق بمقام النبوة ويأنفه الناس ويستتكفون عن اتباع من اتصف به وأن يكون لهم إماماً وقدوة ثم إن الأنبياء دعاة للناس آناء الليل وأطراف النهار والرقيق لا يتيسر له ذلك فكان الأنبياء منزهين عن مثل ذلك⁽⁵⁾.

(1) ابن حجر: فتح الباري. ج 6 / ص 438.

(2) سورة الحديد: 26.

(3) الأشقر، عمر سليمان عبد الله: الرسل والرسالات. ص 79. ط 14. عمان: دار النفائس. 1427 هـ - 2007 م.

(4) البخاري: صحيح البخاري. ج 3 / ص 1305. كتاب المناقب. باب صفة النبي - صلى الله عليه وسلم. رقم الحديث (3364).

(5) انظر، السفاريني، شمس الدين أبو العون محمد بن أحمد: لواعج الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية. ج 2 / ص 265. ط 2. دمشق: مؤسسة الخافقين. 1402 - 1982 م.

المبحث الثاني

كمال الأنبياء عليهم السلام في الأخلاق

الأنبياء عليهم السلام هم أفضل البشر على الإطلاق لأن الله اجتباهم واصطفاهم دون غيرهم ولذلك كان لزاماً أن تكون أخلاقهم أفضل الأخلاق وتعاملاتهم أفضل المعاملات وأدبهم أفضل الأدب على الدوام، ونبينا محمد عليه الصلاة والسلام آخر الأنبياء وأفضلهم، ومع هذا يأمره ربه بالافتداء بهدى من قبله من الأنبياء عليهم السلام قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾⁽¹⁾، ومما لاشك فيه أن الأخلاق من أصول الدين بل من أساسياته.

لذلك جاء الأنبياء عليهم السلام إلى البشرية يحملون رسالة الأخلاق السامية، وقد كان الغرض الأسمى من دعوتهم أن تتحقق هذه الأخلاق في حياة المجتمعات، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾⁽²⁾، أي: "أن الله رحم العالمين بإرسال سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لأنه جاءهم بالسعادة الكبرى والنجاة من الشقاوة العظمى ونالوا على يديه الخيرات الكثيرة في الآخرة والأولى وعلمهم بعد الجهالة وهداهم بعد الضلالة"⁽³⁾، فكيف لمجتمع أن تتحقق فيه سعادة وطمأنينة وهو بعيد عن الأخلاق! كيف لمجتمع أن يكون فيه استقرار مع انتشار القبح وسوء الأخلاق! كيف لمجتمع أن تتحقق فيه الرحمة التي جاء بها نبينا صلى الله عليه وسلم وهو لا يعرف طريقاً للأخلاق!

فالأخلاق هي رسالة الأنبياء عليهم السلام كما صرح بذلك المصطفى صلى الله عليه وسلم بقوله: ((إنما بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ))⁽⁴⁾ وهي دعوة الصالحين والأتقياء وصدقتهم من بعدهم وقد امتدح الله نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾⁽⁵⁾ يقول الإمام الشنقيطي: "وهنا أقصى مراتب العلو في الخلق وقد أكد هذا السياق

(1) سورة الأنعام: 90.

(2) سورة الأنبياء: 107.

(3) الكلبي: التسهيل لعلوم التنزيل. ج 3 / ص 34.

(4) ابن حنبل: مسند الإمام أحمد. ج 2 / ص 381. مسند أبي هريرة - رضي الله عنه - رقم الحديث (8939). قال

الألباني: صحيح. انظر، الألباني: سلسلة الأحاديث الصحيحة. ج 1 / ص 112. رقم: (45).

(5) سورة القلم: 4.

بعوامل المؤكدات باندرجه في جواب القسم الأول في أول السورة وبـ (إن) واللام في (على) وجاء بـ (على) الدالة على الاستعلاء والتمكن بدلاً من مثلاً: (ذو خلق عظيم) لبيان قوة التمكن والاستعلاء وأنه - صلى الله عليه وسلم - فوق كل خلق عظيم متمكن منه مستعمل عليه وقد أجمل الخلق العظيم هنا وهو من أعم ما امتدح الله به رسوله - صلى الله عليه وسلم - في كتابه⁽¹⁾ وكان من حرصه - صلى الله عليه وسلم - على الأخلاق أن جعلها من دعائه - حيث جاء فيه: ((وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَأَيُّهَا إِلَّا أَنْتَ وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَأَبْصُرْفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ))⁽²⁾.

والأنبياء - عليهم السلام - عموماً بلغوا في باب الأخلاق منزلة عالية رفيعة فقد أثنى الله على نبيه إبراهيم - عليه السلام - بقوله: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ﴾⁽³⁾ فهو موصوف بالحلم وهي صفة تقتضي الصفا واحتمال الأذى بالإضافة إلى كثرة التأوه وهي كناية عن شدة اهتمامه بهموم الناس⁽⁴⁾ وهذا من عظيم خلقه - عليه السلام - .

وقال تعالى في حق موسى - عليه السلام - على لسان إحدى المرأتين اللتين سقى لهما: ﴿ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾⁽⁵⁾ فشهدت له بالقوة والأمانة وهي شهادة حق رأتها منه من خلال تصرفه معهن. وفي سياق الثناء يخبر الله تعالى عن إسماعيل عليه السلام أنه صادق الوعد قال سبحانه: ﴿ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ ﴾

(1) الشنقيطي: أضواء البيان. ج 8 / ص 247 248.

(2) مسلم: صحيح مسلم. ج 1 / ص 535. كتاب صلاة المسافرين وقصرها. باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه. رقم الحديث (771).

(3) سورة هود: 75.

(4) انظر، ابن عاشور: التحرير والتنوير. ج 12 / ص 123.

(5) سورة القصص: 26.

وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥٤﴾ (1) وإنما خصه الله بهذه الخصلة الكريمة "لأنه كانت منه مواعيد الله وللناس فوفى بالجميع" (2).

وقد كان من كمال أخلاق الأنبياء عليهم السلام شدة خشيتهم لله تعالى فهذا أبونا آدم عليه السلام بعد أكله من الشجرة يعود وزوجه بالإنابة إلى ربه قال تعالى: ﴿قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (3) ونوح عليه السلام يعود بالاستغفار بعد أن جانب الصواب في ندائه لله من أجل ولده قال تعالى: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنِّي أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ (4) قال ينوح إنه: لَيْسَ مِنِّي أَهْلِي إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَتَّخِذْ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قال رب إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين ﴿٤٧﴾ (4) وهذا نبي الله يونس عليه السلام يخرج من عند قومه غضباً وسخطاً عليهم فلما نبهه الله لخطأ فعله بالابتلاء الذي لحق به عاد بالإنابة والتوبة، قال تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُعَظِمًا فُظُنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (5).

ومن كمال أخلاقهم عليهم السلام أنهم لا ينتقمون لأنفسهم مهما بلغ بهم الأذى والأسى فهذا نبي الله يعقوب عليه السلام يصفح ويسامح مكر أبنائه وكيدهم بأخيهم فعندما طلبوا منه العفو عفا واستغفر لهم قال تعالى: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾ (6) قال سوف أستغفر لكم ربِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ قال سيد قطب: "ونلمح هنا أن في قلب يعقوب شيئاً من بنيته وأنه لم يصف لهم بعد وإن كان يعدهم باستغفار الله لهم بعد أن يصفو

(1) سورة مريم: 54.

(2) أبو حيان: البحر المحيط. ج 6 / ص 188.

(3) سورة الأعراف: 23.

(4) سورة هود: 45 47.

(5) سورة الأنبياء: 87.

(6) سورة يوسف: 97 98.

ويسكن ويستريح وحكاية عبارته بكلمة (سوف) لا تخلو من إشارة إلى قلب إنساني مكلوم⁽¹⁾ أي بالرغم من أنه عانا من فلذات أكباده ورأى منهم ما أفقده بصره حزناً وضيقاً إلا أنه وعدهم وعد خير بالاستغفار حتى ولو بعد حين وهذه عائشة رضي الله عنها تخبرنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بقولها: ((ما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه في شيءٍ يؤتي إليه حتى تنتهك من حرّمات الله فينتقم الله))⁽²⁾.

ولابد أن نلاحظ هنا أن أي خلقٍ يذكر في كتاب الله عن نبي من الأنبياء فإنه لا يكون خاصاً به، بل هو موجود في غيره لأن بعضهم يقتدي ببعض وسيتطرق الباحث خلال الأسطر القادمة إلى ذكر مجمل لبعض الأخلاق التي امتدح الله بها أنبياءه ومنها:

1- شكر الله تعالى على نعمه:

قال تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾⁽³⁾ وعن إبراهيم عليه السلام قال: ﴿إِنِّي إِبرَاهِيمَ كَانَتْ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ خَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾⁽⁴⁾ شاكراً لأنعمه أجبتة وهدته إلى صراطٍ مستقيم⁽⁵⁾ ﴿وَعَلَى لِسَانِ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾⁽⁶⁾.

(1) قطب: في ظلال القرآن. ج 4 / ص 2028.

(2) البخاري: صحيح البخاري. ج 6 / ص 2513. كتاب المحاربيين من أهل الكفر والردة. باب من أظهر الفاحشة واللطخ

والتهممة بغير بيئة. رقم الحديث (6461).

(3) سورة الإسراء: 3.

(4) سورة النحل: 120 121.

(5) سورة النمل: 19.

2- المسارعة إلى فعل الخيرات:

يقول الله تعالى عن أنبيائه عليهم السلام - ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴾ (٩٠) (1)، يقول الشيخ البغوي: "يعني الأنبياء الذين ساهم في هذه السورة" (2).

3- إيفاء الوعد مع الله ومع الناس:

قال الله تعالى عنهم: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِءَ وَلَتَنْصُرُنَّهُ. قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ (٨١) (3)، فكانوا - عليهم السلام - خير من وفى بعهد الله وميثاقه، ولما كانوا مع عهد الله أوفياء فمن باب أولى أن يكونوا مع الناس كذلك.

4- بر الوالدين والإحسان إليهم:

قال الله تعالى حكاية عن نوح عليه السلام: ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا نَبَارًا ﴾ (٢٨) (4) وفي قصة يحيى عليه السلام قال تعالى عنه: ﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ﴾ (١٤) (5) وعن عيسى عليه السلام قال تعالى: ﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَجْعَلْ لِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾ (٣٢) (6) وأعظم ما صورّه القرآن الكريم من بر الوالدين ذلك الذي وقع من إبراهيم عليه السلام مع أبيه وهو يحاوره بود وحب قال تعالى: ﴿ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴾ (٤١) إذ قال لأبيه يَتَّابَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا (٤٢) يَتَّابَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (٤٣) يَتَّابَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ

(1) سورة الأنبياء: 90.

(2) البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء: معالم التنزيل في تفسير القرآن - تفسير البغوي. ج 3 / ص 267. تحقيق عبد الرزاق المهدي. بيروت: دار إحياء التراث العربي. ط 1. 1420 هـ.

(3) سورة آل عمران: 81.

(4) سورة نوح: 28.

(5) سورة مريم: 14.

(6) سورة مريم: 32.

كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَتَّابِتْ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنْتَهَ لِأَرْجَمَنَّكَ وَأَهْجُرَنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلِّمْ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ ﴿١﴾

5- كرم الضيافة:

يتجلى كرم الضيافة قصة إبراهيم عليه السلام حين دخل عليه ضيوفه ﴿ هَلْ أَنْتَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴾ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلِّمْ قَوْمٌ مُّنْكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَيْتِ أَهْلِيهِ فَجَاءَ بِعَجَلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ ﴿٢﴾ فمنذ أن رأى ضيوفه واستقبلهم بالسلام دخل على أهله ليكرمهم ومن كمال كرمه أن ذهب يحضر ضيافتهم دون علمهم يقول الزمخشري: "فذهب إليهم في خفية من ضيوفه ومن أدب المضيف أن يخفي أمره وأن يبادره بالقرى من غير أن يشعر به الضيف حذراً من أن يكفه ويعذره" ﴿٣﴾.

6- رحمتهم بأقوامهم وحرصهم عليهم:

لقد كانت دعوة الأنبياء عليهم السلام رحمة لأقوامهم فكانوا رحماء عليهم حريصين على نجاتهم وصلاحهم قال تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ﴿٦٦﴾ ﴿٤﴾ وعن هود عليه السلام يقول تعالى: ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴾ ﴿٦٨﴾ ﴿٥﴾ وكذلك كان نبي الله صالح عليه السلام قال تعالى: ﴿ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَنْفَوِرُ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحَةَ ﴾ ﴿٧٨﴾ ﴿٦﴾ ويمتن الله على أمة محمد صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ

(1) سورة مريم: 41 - 47.

(2) سورة الذاريات: 24 - 27.

(3) الزمخشري: الكشاف، ج 4 / ص 404.

(4) سورة الأعراف: 62.

(5) سورة الأعراف: 68.

(6) سورة الأعراف: 79.

عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ (1) فالحرص هنا ليس متعلقاً بذواتهم بل المراد حريص على إيصال الخيرات إليكم في الدنيا والآخرة (2) والرأفة: رقة تنشأ عند حدوث ضررٍ بالمرؤوف به والرحمة: رقة تقتضي الإحسان للمرحوم (3).

(1) سورة التوبة: 128.

(2) انظر، الرازي: التفسير الكبير. ج 16 / ص 188.

(3) ابن عاشور: التحرير والتنوير. ج 11 / ص 73.

المبحث الثالث

كمال الأنبياء - عليهم السلام - في العقل والقدرة

لما كانت دعوة الله تعالى دعوة حق وصدق كان لابد من معارضين ومكذبين يصدون عن هذه الدعوة ويحاربونها ومن أنواع الصد والمحاربة لدعوة الله إثارة الشبه وكثرة الجدل والمحاورة للأنبياء عليه السلام أمام أقوامهم لذلك كان لابد أن يكون الأنبياء على قدر عال من العقل والفتنة للرد على هؤلاء فكان اصطفاء الأنبياء من خصائصه سبحانه قال جل وعلا: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّكَ اللَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (٧٥) (1)، والاصطفاء هو: "تناول صفو الشيء، واصطفاء الله بعض عباده قد يكون بإيجاده تعالى إياه صافياً عن الشوب الموجود في غيره" (2) فالملائكة يتوسطون بينه تعالى وبين الأنبياء - عليهم السلام - بالوحي ومن الناس يختار رسلاً يدعون من شاء إليه ويبلغونهم ما نزل عليهم والله سبحانه أعلم حيث يجعل رسالته (3).

يقول الإمام الشنقيطي عند قوله تعالى: ﴿يُنزِلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ (4): "ينزل الوحي على من اختاره وعلمه أهلاً لذلك كما بينه تعالى بقوله: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ (5) وقوله: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ (6) وقوله: ﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ (7) (8).

(1) سورة الحج: 75.

(2) انظر، الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن. ج 1 / ص 488.

(3) انظر، الألويسي: روح المعاني. ج 17 / ص 207.

(4) سورة النحل: 2.

(5) سورة الحج: 75.

(6) سورة الأنعام: 124.

(7) سورة غافر: 15.

(8) الشنقيطي: أضواء البيان. ج 2 / ص 328.

فكان للأنبياء عقول راجحة وذكاء فذَّ ولسان مبين وكانت بديهتهم حاضرة وقدرتهم على الرد والإقناع قائمة وقد منحهم الله قدرات عالية لحمل الرسالة وإبلاغها ومن ثم متابعة الذين تقبلوها بالتوجيه والتربية.

إن المتأمل في سير الأنبياء عليهم السلام ليرى مشاهد متعددة في مواضع متنوعة من المحاورات والمجادلات بينهم وبين أقوامهم وسأذكر هنا بعضاً من تلك المواقف التي سجلها القرآن الكريم:

1- مُحاجة إبراهيم عليه السلام مع طاغية عصره:

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ (1).

وكان الذي حاج إبراهيم - عليه السلام - في هذه الآية قد ادعى الربوبية وكان من ادعائه الإحياء والإماتة فيحيي من وجب عليه القتل بالتخليد والاستبقاء ويميت بأن يقتل من غير سبب يوجب القتل وهذا من معارضة اللفظ بمثله لا بدلالته ومكنونه. فعدل إبراهيم - عليه السلام - عن نصرته حجتة إلى غيرها، مع أن في ذلك إضعافاً لحجة إبراهيم وهو لا يليق بالأنبياء، إلا أنه لما رأى أن في تلك الحجة إشغاباً منه بما عارضها به من الشبهة أحب أن يحتج عليه بما لا إشغاب فيه قطعاً له واستظهاراً عليه، فقال: ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ ﴾، ولم يعارضه بقوله: فليأت بها ربك من المغرب، لأن الله خذله عن ذلك، ولأنه علم بما رأى معه من الآيات أنه يفعل، فخاف أن يزداد فضيحة، ﴿ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ﴾، أي: تحير وانقطع (2). فلم يجد ما يجيب به فقطع الله أثره وحجته.

(1) سورة البقرة: 258.

(2) انظر، الماوردي: النكت والعيون. ج 1 / ص 330.

2- مُحَاجَة إِبْرَاهِيم - عَلَيْهِ السَّلَام - مَعَ قَوْمِهِ:

لقد أنكر إبراهيم - عليه السلام - على قومه عبادة الأصنام التي لا تضر ولا تنفع وتوجه بهم إلى البحث عن الإله الذي يستحق العبادة لعظمته فصرفهم إلى تلك الأجرام السماوية التي يشاهدونها ويلاحظون حركتها فأقام عليهم الحجة بعدم دوامها واختفائها وهذا لا يليق بأن يكون معبوداً يظهر في أوقات ويختفي في أخرى فردهم بالحجة الأخيرة إلى المعبود الحقيقي وهو الله سبحانه وتعالى الذي خلقها وخلق كل شيء.

قال تعالى مصوراً هذا المشهد: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازِرْ أَتَتَّخِذُ آلِهَةً ءِالِهَةً ۗ إِنَّيَ أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى الْكُوكَبَاتِ قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَأُحِبُّ الأَفْلَاقَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يُقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجْهْتُ وَجْهِيَ لِلذِّى فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ (1).

يقول سيد قطب رحمه الله: "إنه مشهد رائع باهر هذا الذي يرسمه السياق القرآني في هذه الآيات مشهد الفطرة وهي للوهلة الأولى تنكر تصورات الجاهلية في الأصنام وتستكرها وهي تنطلق بعد إذ نفضت عنها هذه الخرافة في شوق عميق دافق تبحث عن إلهها الحق الذي تجده في ضميرها ولكنها لا تتبينه في وعيها وإدراكها وهي تتعلق في لهفتها المكنونة بكل ما يلوح أنه يمكن أن يكون هو هذا الإله! حتى إذا اختبرته وجدته زائفاً ولم تجد فيه المطابقة لما هو مكنون فيها من حقيقة الإله وصفته" (2). فكان فعل إبراهيم عليه السلام ومحاورته مع قومه هدفها ردهم إلى فطرتهم والوصول بهم للنطق بقناعتهم بعد إقامة الحجة على بطلان عبادتهم وأن المعبود الحق هو الذي أوجد هذه الكواكب التي يعبدونها.

(1) سورة الأنعام: 74 79.

(2) قطب: في ظلال القرآن. ج 2 / ص 1138.

3- محاوره موسى - عليه السلام - مع فرعون:

لقد كان فرعون طاغية في الأرض حتى تطاول على جبروت الله وادعى الألوهية:

﴿ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴾ (1) وقال عنه سبحانه في موضع آخر: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي ﴾ (2) فلما جاءه موسى عليه السلام رسولاً من عند الله كذبه وعاب عليه دعوته وحاوره أمام قومه لعله يضعف من موقفه أو يظهر ضعف دعوته وحجته ولكن موسى عليه السلام كان يرد عليه بثبات ويقطع عليه كل طريق وهذا من توفيق الله لأنبيائه وتثبيت الله لأوليائه أن يرزقهم كلمة الحق وحضور الذهن وسرعة البديهة.

قال تعالى مصوراً ذلك: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ (3) قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ اتَّخَذَتِ الْهَيْهَاتَ غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُورِينَ ﴿٢٩﴾ يقول الغرناطي في تفسيره: "لما أظهر فرعون الجهل بالله فقال: وما رب العالمين؟ أجابه موسى بقوله: رب السموات والأرض فقال: ألا تستمعون؟! تعجباً من جوابه فزاد موسى في إقامة الحجة بقوله: ربكم ورب آبائكم الأولين لأن وجود الإنسان وآبائه أظهر الأدلة عند العقلاء وأعظم البراهين فإن أنفسهم أقرب الأشياء إليهم فيستدلون بها على وجود خالقهم فلما ظهرت هذه الحجة حاد فرعون عنها ونسب موسى إلى الجنون مغالطة منه وأيدّ الأزدراء والتهم في قوله: رسولكم الذي أرسل إليكم فزاد موسى في إقامة الحجة بقوله: رب المشرق والمغرب لأن طلوع الشمس وغروبها آية ظاهرة لا يمكن أحداً جدها ولا أن يدعيها لغير الله ولذلك أقام إبراهيم الخليل بها الحجة على نمرود فلما انقطع فرعون بالحجة رجع إلى الاستعلاء والتغلب فهدهد بالسجن فأقام موسى عليه الحجة بالمعجزة وذكرها له بتلطف طمعاً في إيمانه" (4) قال تعالى: ﴿ قَالَ أَوْلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴾ (5)

(1) سورة النازعات: 24.

(2) سورة القصص: 38.

(3) سورة الشعراء: 23 - 29.

(4) الكلبي: التسهيل لعلوم التنزيل. ج 3 / ص 84.

قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِيْنَ ﴿٣١﴾ (1) فبعد أن قابل فرعون ردود موسى عليه السلام بالتكذيب عرض عليه موسى عليه السلام أن يريه ما يوضح له صدقه فما إن سمع فرعون بهذا العرض حتى وافق عليه طمعاً في أن يجد ما يعارض به موسى عليه السلام (2).

واستمر الحوار بينهما حتى جاء موعد الفصل بينهم فكانت غلبة الحق قائمة وصورة الحق ظاهرة واندحرت حجج فرعون وبنات عورته فلا يملك من تغيير الحقائق شيئاً فهؤلاء خيرة سحرته من قومه يقعون ساجدين مذعنين لما رأوا أنه حق من عند الله ﴿قَالَتِ السّٰحِرَةُ سَجِدِينَ﴾ (٤٦) ﴿قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعٰلَمِيْنَ﴾ (٤٧) ﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾ (٤٨) (3).

لقد كانت الغلبة في كل تلك الحوارات والمواقف للأنبياء عليهم السلام لأنهم أصحاب حق ودعاة هداية وإرشاد وكانت نفوسهم مطمئنة هادئة متيقنة من نصر الله وتوفيقه ورعايته وكانوا على ثقة بأن قضيتهم عادلة صادقة ولا يمكن لأي من قوى الطغيان والباطل أن تتغلب على دعوتهم فمن كان الله معه لم يضره شيء.

(1) سورة الشعراء: 30 31.

(2) انظر، ابن عطية: المحرر الوجيز. ج 4 / ص 229.

(3) سورة الشعراء: 46 48.

الفصل الرابع

العوارض البشرية وعصمة الأنبياء - عليهم السلام -

المبحث الأول: العصمة في اللغة والاصطلاح.

المبحث الثاني: حدود عصمة الأنبياء - عليهم السلام -.

المبحث الثالث: العوارض البشرية لا تنافي العصمة وفيه:

المطلب الأول: نسيان آدم - عليه السلام -.

المطلب الثاني: خوف موسى وفزع داوود - عليهما السلام -.

المطلب الثالث: عبوس النبي محمد صلى الله عليه وسلم -.

المبحث الأول

العصمة في اللغة والاصطلاح

تعد العصمة عند الحديث عن الأنبياء - عليهم السلام - من أهم المفصل المهمة في سيرتهم أو في تناول حياتهم وتصرفاتهم فهي من مباحث العقيدة ومن مقتضيات نبوة الأنبياء - عليهم السلام - وقد كان الخلاف حولها كبيراً لدى الفرق الإسلامية من هنا سيتناول الباحث في هذا المبحث معنى (العصمة) في اللغة والاصطلاح.

أولاً: العصمة في اللغة:

يرجع أصل كلمة (العصمة) إلى جذرها الثلاثي (عَصَمَ) والمكوّن من (ع ص م) يقول ابن فارس: "العين والصاد والميم أصل واحد صحيح يدل على إمساك ومنع وملازمة والمعنى في ذلك كله معنى واحد"⁽¹⁾ وعصم يعصم بمعنى: "اكتسب ومنع ووقى"⁽²⁾ ومن ذلك الجذر تأتي العصمة وهي بمعنى: "أن يعصم الله تعالى عبده من سوء يقع فيه واعتصم العبد بالله تعالى إذا امتنع"⁽³⁾ وقد تطلق ويراد بها القلادة وسميت بذلك لأنها تكون ملازمة للعنق أو شبه السوار والمعصم موضعها من اليد⁽⁴⁾.

وهذا التعريف الأخير هو ما يتعلق بمرادنا عند الحديث عن عصمة الأنبياء - عليهم السلام -، وذلك أنها ملازمة لهم وأن الله تعالى جعلها من خصائصهم فيما يتعلق بتبليغ دعوته ورسالته.

(1) ابن فارس: مقاييس اللغة. ج 4 / ص 331.

(2) الفيروز أبادي، محمد بن يعقوب: القاموس المحيط. ج 1 / ص 1469. بيروت: مؤسسة الرسالة. وانظر، الزبيدي:

تاج العروس من جواهر القاموس. ج 33 / ص 98.

(3) انظر ابن فارس: مقاييس اللغة. ج 4 / ص 331. وانظر المعجم الوسيط (2+1) تأليف: إبراهيم مصطفى / أحمد

الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار. ج 2 / ص 605. تحقيق مجمع اللغة العربية. دار الدعوة.

(4) الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن. ص 570.

ويبدو من خلال المعنى اللغوي للعصمة أنها تدل على شيء مادي وهو القلادة، وهذا ينسجم مع الألفاظ العربية التي تدل أصلاً على معنى مادي محسوس، ثم بحكم التطور اللغوي يصبح لها دلالة معنوية وهي هنا الملازمة.

وعند تتبع مادة (عصم) في القرآن الكريم نجد أنها تحمل معاني عديدة في سياقاتها المختلفة ومن هذه المعاني:

1- المنع والحفظ: قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعَصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾⁽¹⁾ ويعصمك معناه: يحفظك ويجعل عليك وقاية⁽²⁾. ويقول سبحانه: ﴿قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكَ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾⁽³⁾ أي: "لا أحد يمنعكم من الله عز وجل وقدره جل جلاله إن خيراً وإن شراً فجعلت الرحمة قرينة السوء في العصمة مع أنه لا عصمة إلا من السوء لما في العصمة من معنى المنع"⁽⁴⁾ ومن هذا المعنى قوله - صلى الله عليه وسلم - : ((أَمَرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَيَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ))⁽⁵⁾ أي: منعوا مني دماءهم وأموالهم.

2- اللجوء: قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْتَصِمِ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾⁽⁶⁾ أي: "ومن يتمسك بدينه ويجوز أن يكون حثاً لهم على الالتجاء إليه في دفع شرور الكفار ومكائدهم"⁽⁷⁾.

(1) سورة المائدة: 67.

(2) ابن عطية الأندلسي: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. ج 2 / ص 218. وانظر، ابن كثير: تفسير القرآن العظيم. ج 2 / ص 79.

(3) سورة الأحزاب: 17.

(4) الألويسي: روح المعاني. ج 21 / ص 163.

(5) البخاري: صحيح البخاري. كتاب ج 1 / ص 17. كتاب الإيمان. باب الحياء من الإيمان. رقم الحديث (25).

(6) سورة آل عمران: 101.

(7) الزمخشري: الكشاف. ج 1 / ص 422.

3- الامتناع: قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَادْنَاهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعَصَمَ﴾⁽¹⁾ يقول صاحب الكشاف: "الاستعصام بناء مبالغة يدل على الامتناع البليغ والتحفظ الشديد كأنه في عصمة وهو يجتهد في الاستزادة منها"⁽²⁾.

4- الاحتماء: قال تعالى: ﴿قَالَ سَأُوَىٰ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَجَعُ﴾⁽³⁾ أي: يحميني من أن يصل إلي الماء فأنجو من الغرق يقول الإمام الثعالبي: "وعصم الشيء إذا منع وحمي"⁽⁴⁾ وبذلك لا يبقى جبال ولا مخابئ ولا حامٍ ولا واقٍ إلا من رحم الله⁽⁵⁾.

5- الإمساك: قال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾⁽⁶⁾ أي: "تابوا من النفاق وأصلحوا أعمالهم وتمسكوا بالله وكتابه ولم يكن لهم ملجأ ولا ملاذ إلا الله"⁽⁷⁾.

إن هذه المعاني المستقاة من آيات الله تدور حول الأصل الذي سبق ذكره من قول ابن فارس من أن دلالتها على الإمساك والمنع والملازمة وما ذكر من معنى العصمة بأنها الحفظ والوقاية إنما كان مخرجها شدة التقارب بين المعنيين.

ثانياً: العصمة في الاصطلاح:

ذكر العلماء في العصمة كلاماً كثيراً بعضه على هيئة تعريف وبعضه يدور على أدلة ثبوتها أو ثمرتها أو مواطنها ومبحث العصمة غالباً ما يرتبط بالكلام عن الأنبياء - عليهم

(1) سورة يوسف: 32.

(2) الزمخشري: الكشاف. ج 2 / ص 440.

(3) سورة هود: 43.

(4) الثعالبي، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف: الجواهر الحسان في تفسير القرآن. ج 1 / ص 294. بيروت: مؤسسة الأعلمي للطبوعات.

(5) قطب: في ظلال القرآن. ج 4 / ص 1878.

(6) سورة النساء: 146.

(7) أبو حيان: تفسير البحر المحيط. ج 3 / ص 396.

السلام - إذ هي من لوازم بعثتهم وتبليغهم لرسالة الله تعالى فهم القدوة لأممهم قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (1) أي: "قدوة تقفون به - صلى الله عليه وسلم - في اليقين والصبر وسائر الفضائل" (2).

ومن تلك التعريفات :

- 1 - أنها بمعنى: "القدرة على الطاعة وعدم القدرة على المعصية" (3).
- 2 - بمعنى : "الحفظ من الوقوع في الذنب، أو هي: ملكة نفسانية تمنع صاحبها من الفجور" (4).
- 3 - وممن ضبط تعريف عصمة الأنبياء قديماً الراغب الأصفهاني حيث قال: "عصمة الله تعالى الأنبياء حفظه إياهم أولاً بما خصهم به من صفاء الجوهر ثم بما أولاهم من الفضائل الجسمية، ثم بالنصرة وتثبيت أقدامهم ثم بإنزال السكينة عليهم وبحفظ قلوبهم وبالتوفيق" (5).

وعند النظر في تعريف الراغب نجد أن العصمة ملازمة للأنبياء - عليهم السلام - وقد جعلها الله فيهم لأسباب ذكرها من خلال تعريفه وهي:

- ما خصهم الله به من صفاء الجوهر وذلك يشعر أن العصمة ثابتة لهم قبل النبوة.
- ومن الأسباب ما أولاهم الله من الفضائل الجسمية وهذا فيه دلالة على اكتمال الخلقة البشرية ونضوج الفكر والعقل.

(1) سورة الأحزاب: 21.

(2) الكلبي: التسهيل لعلوم التنزيل. ج 3 / ص 135.

(3) الشوكاني، محمد بن علي: إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول. ج 1 / ص 162. تحقيق الدكتور شعبان محمد إسماعيل. ط 1. مصر: دار الكتبي. 1413 هـ 1992 م.

(4) انظر، الأسنوي، جمال الدين عبد الرحيم: نهاية السؤل في شرح منهاج الأصول. ج 3 / ص 6. بيروت: عالم الكتب.

(5) الراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن. ص 570.

- وسبب ثالث لعصمتهم هو نصره الله لهم وتثبيت أقدامهم وهذا يكون بعد التبليغ والبعثة.

- والسبب الأخير إنزال السكينة عليهم وحفظ قلوبهم وتوفيقهم وهو متعلق بالسبب الذي قبله حيث لا تتحقق السكينة ولا الحفظ إلا بعد نصرهم وتثبيت أقدامهم.

4- أما الإمام الحافظ ابن حجر فقد عرفها بقوله: "وعصمة الأنبياء على نبينا وعليهم الصلاة والسلام حفظهم من النقائص، وتخصيصهم بالكمالات النفيسة، والنصرة والثبات في الأمور، وإنزال السكينة"⁽¹⁾، وهذا التعريف قريب على كلام الإمام الراغب ومستقى منه.

5- وعرفها الصابوني بقوله: "حفظ الله لأنبيائه ورسله عن الوقوع في الذنوب والمعاصي"⁽²⁾. فجعل العصمة في تعريفه مرتبطة بالعمل الأخروي.

ومما قعد له العلماء والأصوليون أن يكون التعريف جامعاً مانعاً بحيث يجمع كل ما يتعلق بالمصطلح ويمنع أي قادح فيه من الدخول، وكل ما سبق من التعريفات إنما كانت اجتهاداً من العلماء قديمهم وحديثهم وهي توضح في مجملها لمن تكون العصمة وسبب كونها فيهم وما يترتب عليها من نتائج وآثار⁽³⁾.

(1) ابن حجر: فتح الباري. ج 11 / ص 502.

(2) الصابوني، محمد علي: النبوة والأنبياء. ص 50. ط2. القاهرة: دار الحديث. 1404هـ. 1984م.

(3) للاستزادة ينظر، متولي، تامر محمد محمود: منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة. ص 709. ط1. الرياض: دار ماجد عسيري. 1425هـ - 2004م.

المبحث الثاني

حدود عصمة الأنبياء عليهم السلام

سبق البيان في ثنايا هذه الدراسة، وبعد التتبع لمعاني العصمة في اصطلاح العلماء، أنها تعني حفظ الله لأنبيائه ورسله عن الوقوع في الذنوب والمعاصي، وهذا كلام غير دقيق لأنه يتناقض مع صريح قوله تعالى: ﴿ فَأَكْلا مِنهَا فَبَدَّتْ لهُمَا سَوْءَ تَهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴾ (1) فإن قيل: أن تلك الحادثة قبل البعثة بدليل أن الله اجتباها واصطفاه بعد المعصية: ﴿ ثُمَّ أَجْنَبَهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴾ (2) واجتباها بمعنى: "اختاره و اصطفاه لنفسه" (3) فهي في حق الرسل اصطفاء للرسالة فيكون أن العصمة من المعاصي والذنوب للأنبياء؛ إنما تكون بعد البعثة فيرد على ذلك بأن الله تعالى عاتب نبيه - صلى الله عليه وسلم - في كتابه الكريم في أكثر من موضع عند مخالفة الأولى وكان ذلك قبل البعثة. والكلام عن آدم - عليه السلام - سيأتي في المبحث الثالث من هذا الفصل إن شاء الله.

مما سبق لا بد من الوقوف الدقيق على مذهب أهل السنة والجماعة في معرفة حدود عصمة الأنبياء - عليهم السلام - .

إنه من المعلوم أن الذنوب على قسمين: كبائر وصغائر قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ ﴾ (4) "وأظهر الأقوال في قوله: ﴿ إِلَّا اللَّمَمَ ﴾ أن المراد باللمم: صغائر الذنوب" (5) وقد دل على هذا المعنى قوله تعالى في سورة النساء: ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا نُهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا ﴾ (6) وهذا من قبيل توضيح القرآن

(1) سورة طه: 121.

(2) سورة طه: 122.

(3) مصطفى القادر الزيات النجار: المعجم الوسيط. ج 1 / ص 106.

(4) سورة النجم: 32.

(5) الشنقيطي: أضواء البيان. ج 7 / ص 75.

(6) سورة النساء: 31.

بالقرآن. ومصدر خلاف القول عند العلماء حول عصمة الأنبياء من الذنوب هو تحديدهم للمعصية التي تجوز عليهم هل هي الكبائر أم الصغائر وسأورد بعضاً من أقولهم:

1- يقول الإمام جمال الدين الغزنوي: "وقال بعض أهل السنة والجماعة بأن الزلل لا يكون من الأنبياء إلا بترك الأفضل، وهذا القول وإن كان حسناً من حيث الصورة لكنه غير سديد من وجه آخر، لأن الأفضل يقتضي فاضلاً في مقابلته، فيقتضي أن يكون أكل الشجرة من آدم - عليه السلام - فاضلاً مع كونه منهيّاً عنه مع قوله تعالى: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ (١٣١)، وقال بعض أهل السنة: هم معصومون عن الكبائر دون الصغائر" (1).

2- قال الكفوي في كتابه: "واعلم أن الأنبياء عصموا دائماً عن الكفر وقبائح يطعن بها أو تدني إلى دناءة الهمة وعن الطعن بالكذب وبعد البعثة عن سائر الكبائر لا قبلها وعن الصغائر عمداً لا الصغائر غير المنفرة خطأ في التأويل أو سهواً مع التنبيه وتنبه الناس عليها لئلا يقتدى بهم فيها أما المنفرة كسرقة لقمة أو حبة أو غير ذلك مما يدل على دناءة الهمة فهم معصومون عنها مطلقاً" (2).

3- سئل الإمام ابن القيم عن رجل قال: إن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون من الكبائر دون الصغائر فكفره رجل بهذه.... فكان من إجابته: "فإن القول بأن الأنبياء معصومون عن الكبائر دون الصغائر هو قول أكثر علماء الإسلام وجميع الطوائف حتى إنه قول أكثر أهل الكلام كما ذكر أبو الحسن الأمدي أن هذا قول أكثر الأشعرية وهو أيضاً قول أكثر أهل التفسير والحديث والفقهاء بل لم ينقل عن السلف والأئمة والصحابة والتابعين وتابعيهم إلا ما يوافق هذا القول" (3).

(1) الغزنوي، جمال الدين أحمد بن محمد بن سعيد: أصول الدين. ص 138 - 139. ط 1. تحقيق الدكتور عمر وفيق الداوق. بيروت: دار البشائر الإسلامية. 1419هـ - 1998م.

(2) الكفوي: الكليات. ص 544.

(3) ابن تيمية، أحمد عبد الحلیم الحراني: كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية. ج 4 / ص 319. ط 2. تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي. مكتبة ابن تيمية.

4- قَالَ ابْنُ الْحَاجِبِ فِي مُخْتَصَرِهِ فِي الْأُصُولِ: "مَسْأَلَةُ الْأَكْثَرِ عَلَى أَنَّهُ لَا يَمْتَنِعُ عَقْلًا عَلَى الْأَنْبِيَاءِ مَعْصِيَةً وَخَالَفَ الرُّوَافِضُ وَخَالَفَ الْمُعْتَزِلَةَ إِلَّا فِي الصَّغَائِرِ وَمَعْتَمِدُهُمُ التَّقْبِيحُ الْعَقْلِيُّ وَالْإِجْمَاعُ عَلَى عَصْمَتِهِمْ بَعْدَ الرِّسَالَةِ مِنْ تَعَمُّدِ الْكُذْبِ فِي الْأَحْكَامِ لِدَلَالَةِ الْمُعْجِزَةِ عَلَى الصِّدْقِ وَجَوِّزِهِ الْقَاضِي عَبْدِ الْجَبَّارِ الْمُعْتَزِلِيَّ غَلَطًا وَقَالَ: دَلَّتْ عَلَى الصِّدْقِ اعْتِقَادًا، وَأَمَّا غَيْرُهُ مِنَ الْمَعَاصِي فَالْإِجْمَاعُ عَلَى عَصْمَتِهِمْ مِنَ الْكِبَائِرِ وَالصَّغَائِرِ الْخَسِيسَةِ وَالْأَكْثَرُ عَلَى جَوَازِ غَيْرِهِمَا"⁽¹⁾. وَأَضَافَ أَبُو الْمُنْذِرِ الْمُنْيَاوِيَّ مُعْلَقًا عَلَى قَوْلِ ابْنِ الْحَاجِبِ: "وَحَاصِلُ كَلَامِهِ: عَصْمَتُهُمْ مِنَ الْكِبَائِرِ وَمِنْ صَغَائِرِ الْخِيسَةِ دُونَ غَيْرِهَا مِنَ الصَّغَائِرِ"⁽²⁾.

5- وَقَدْ ذَكَرَ الْأَمَدِيُّ فِي كِتَابِهِ الْإِحْكَامُ مَا يَتَعَلَّقُ بِالْأَنْبِيَاءِ قَبْلَ الْبَعْثَةِ وَالتَّكْلِيفِ بِالنَّبِوَةِ وَإِمْكَانِ الْمَعْصِيَةِ مِنْهُمْ فَقَالَ: "إِنَّهُ لَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِمُ الْمَعْصِيَةُ كَبِيرَةً كَانَتْ أَوْ صَغِيرَةً لِأَنَّهُ لَا سَمْعَ قَبْلَ الْبَعْثَةِ يَدُلُّ عَلَى عَصْمَتِهِمْ عَنْ ذَلِكَ"⁽³⁾.

وَالَّذِي يَتَرَجَّمُ لَدَيْنَا أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لَيْسُوا مَعْصُومِينَ مِنَ الصَّغَائِرِ الذُّنُوبِ وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُوَضِّحُ لَهُمْ تِلْكَ الْمَعْصِيَةَ فَيُبَادِرُونَهُ بِالتَّوْبَةِ وَالْإِنَابَةِ وَعَلَى هَذَا الْقَوْلِ أُدْلَةُ كَثِيرَةٌ:

(1) قَالَ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ حَالِ آدَمَ وَمَعْصِيَتِهِ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبُلَى ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَّتْ لُهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْنِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴿١٢١﴾ ثُمَّ اجْنَبْتَهُ رَبُّهُ، فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴿١٢٢﴾﴾⁽⁴⁾

- (1) ابن الحاجب، جمال الدين أبو عمرو عثمان بن عمر بن أبي بكر: مختصر منتهى السؤل والأمل في علمي الأصول والجدل. ص 425. ط1. تحقيق وتعليق الدكتور نذير حمادو. بيروت: دار ابن حزم. 1427هـ 2006م.
- (2) المنياوي، أبو المنذر محمود بن محمد بن مصطفى: الجموع البهية للعقيدة السلفية التي ذكرها العلامة الشنقيطي في تفسيره أضواء البيان. ج2 / ص435. ط1. مصر: مكتبة ابن عباس. 1426هـ 2005م.
- (3) الأمدي، أبو الحسن علي بن أبي علي بن محمد: الإحكام في أصول الأحكام. ج1 / ص242. القاهرة: دار الحديث.
- (4) سورة طه: 116 122.

فالأيات واضحة الدلالة على أن الله قد أمره بأمر لم يلتزمه وسمى الله عدم الالتزام بحقه معصية لكن سرعان ما بادر عليه السلام بالتوبة والرجوع.

(2) نهي الله لنوح عليه السلام حين نادى ربه بقوله: ﴿رَبِّ إِنِّي ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ (٤٥) (1) فعاتبه الله ولامه على نداءه: ﴿قَالَ يَنْوُحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَتَّخِذْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعْطِكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (٤٦) (2) فأسرع بالتوبة والاستغفار لما علم أن ما أقدم عليه معصية لله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمَنِي أَكُنْ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ (٤٧) (3) أي أعوذ بك ربي "أن أطلب منك في المستقبل ما لا علم لي بصحته تأدباً بأدبك واتعاضاً بموعظتك" (4).

(3) تسرع داوود عليه السلام في حكمه للمتخاصمين الذين دخلا عليه دون الاستماع إلى الطرف الآخر قال تعالى: ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ سُؤَالُ نَجْمِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ (٢٤) ﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ﴾ (٢٥) (5) فكان تسرعه خطأ يستلزم التوبة فاستغفر ربه فغفر له.

(4) آيات العتاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم - ومن ذلك عتاب الله له حين عبس في وجه الأعمى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى (١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى (٢)﴾ (6) فهذا العتاب في الآيات يدل على أن فعل النبي - صلى الله عليه وسلم - فيه مخالفة. وكذلك عتابه سبحانه وتعالى لنبيه في موضوع الأسرى: ﴿مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يَشْرِكَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا

(1) سورة هود: 45.

(2) سورة هود: 46.

(3) سورة هود: 47.

(4) الزمخشري: الكشاف. ج 2 / ص 379.

(5) سورة ص: 24 25.

(6) سورة عبس: 1 2.

وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ تَوَلَّا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ (1) وكان هذا العتاب في التعامل مع الأسرى في تلك الظروف قاسياً شديداً رتب عليه الوعيد العظيم وعتاب ثالث لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِرَحْمَةٍ مَّا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبَنَّى مَرْصَاتٍ أَوْجِحَكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١﴾﴾ (2) يقول الشيخ الألوسي في تفسيره للآية: "فيه تعظيم لشأنه - صلى الله تعالى عليه وسلم - بأن ترك الأولى بالنسبة إلى مقامه السامي الكريم يعد كالذنب وإن يكن في نفسه كذلك وأن عتابه - صلى الله عليه وسلم - ليس إلا لمزيد الاعتناء به" (3).

(5) ومن الأدلة العامة على هذه المسألة أعني وقوع الصغيرة من الأنبياء قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ ﴿٤﴾﴾، أي: "إن حالي مقصور على البشرية لا يتخطاها إلى الملكية" (5)، ونحن نعلم أن الملائكة وهدمهم معصومون عن الخطأ والمعصية، قال الله في حقهم: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ (6)، وبذلك يمكن أن يقع من الأنبياء صغائر المعاصي. وأيضاً أمر الله المباشر لنبيه: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذُنُوبِكُمْ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثُوكُمْ ﴿١١﴾﴾ (7) أي: لما يتصور عندك أنه تقصير (8).

ولا تقع من الأنبياء كبيرة بعد النبوة والبعثة إجماعاً وجوز بعضهم وقوعها منهم قبل النبوة والله أعلم يقول الإمام الكفوي: "واعلم أن الأنبياء عصموا دائماً عن الكفر وقبائح يطعن

(1) سورة الأنفال: 67 68.

(2) سورة التحريم: 1.

(3) الألوسي: روح المعاني. ج 28 / ص 147.

(4) سورة الكهف: 110.

(5) الشوكاني: فتح القدير. ج 3 / ص 318.

(6) سورة التحريم: 6.

(7) سورة محمد: 19.

(8) الكفوي: الكليات. ص 546.

بها أو تدني إلى دناءة الهمة وعن الطعن بالكذب وبعد البعثة عن سائر الكبائر لا قبلها وعن الصغائر عمداً⁽¹⁾.

وأما ما يتعلق بعصمتهم في تبليغ دعوة الله ورسالته فقد أجمع العلماء على عصمتهم في ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "إن الأنبياء -صلوات الله عليهم - معصومون فيما يخبرون به عن الله سبحانه وفي تبليغ رسالاته باتفاق الأمة ولهذا وجب الإيمان بكل ما أوتوه"⁽²⁾ فلا ينسون من وحي الله شيئاً ولا يكتُمونه عن أمتهم فقد أمرهم الله بتبليغ ذلك إليهم: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رَسُولَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾⁽³⁾ ولا يمكن لهم أن يخونوا هذه الأمانة الملقاة على عاتقهم ومما عصمهم الله في هذا الباب أن لا ينسوا شيئاً من أحكام شرائعهم قال تعالى: ﴿سَنُفَرِّقُكَ فَلا تَنْسَى﴾⁽⁴⁾ وفي هذا يقول الكفوي: "فالكذب في التبليغ عمداً كان أو سهواً أو غلطاً في حقهم مستحيل وكذا الخيانة بفعل شيء مما نهى عنه نهياً تحريمياً أو كراهية وكذا يستحيل في حقهم كتمان شيء مما أمروا بتبليغه لوجوب التبليغ في حقهم أيضاً. ثم اعلم أن ما أمرهم الله من الشرع وتقريره وما يجري مجراهما من الأفعال كتعليم الأمة بالفعل فهم معصومون فيه من السهو والغلط"⁽⁵⁾.

وخلاصة الأمر أن الأنبياء عليهم السلام قد عصمهم الله من الكفر قبل البعثة وبعدها حيث لم يُرْسِدِ اللهُ إِلَّا مُوحِداً بفطرته وقد طَهَّرَتْ سَرِيرَتُهُ ثُمَّ عَصَمَتْهُمْ مِنَ الْكِبَائِرِ بعد البعثة مع إمكانية وقوعها منهم قبل البعثة عقلاً غير أنني لم أجد من خلال قراءتي وبحثي من ذكر كبيرة فعلها نبي من الأنبياء قبل بعثته سوى قتل الخطأ الذي وقع من موسى للقبطي أما صغائر الذنوب غير الخسيسة فتقع منهم بطبيعة بشريتهم لكن الله يتولاهم بالرعاية والتنبيه فيبادرون إلى الاستغفار والعودة والإنابة.

(1) المرجع السابق. ص 544.

(2) ابن تيمية: مجموع الفتاوى. ج 10 / ص 289.

(3) سورة المائدة: 67.

(4) سورة الأعلى: 6.

(5) الكفوي: الكليات. ص 544.

المبحث الثالث

العوارض البشرية لا تنافي العصمة

لقد تقدم الحديث في هذه الدراسة عن بشرية الأنبياء، وتحقق لدينا أن الأنبياء - عليهم السلام - تعزريهم عوارض البشرية بلا خلاف فهم يخافون ويغضبون وينسون خلاف ما يتعلق بالتبليغ وكل هذه العوارض لا تتنافى مع عصمتهم ولا تقدر في شخصيتهم.

يقول الدكتور الأشقر: "الأعراض البشرية كالخوف والغضب والنسيان تقع من الرسل والأنبياء وهي لا تنافي عصمتهم"⁽¹⁾ وعلى ما تقدم ذكره من العوارض أمثلة من كتاب الله وقعت من أنبياءه - عليهم السلام - أذكر منها:

المطلب الأول: نسيان آدم عليه السلام :

كلنا يعلم قصة آدم وحواء حين أكلا من الشجرة المنهي عنها وكيف وسوس لهما الشيطان ليغويهما فكان أكلهما من الشجرة معصية وهذه المعصية التي صدرت من آدم إنما كانت في حالة من النسيان، حيث قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَسَىٰ﴾⁽²⁾، أي: "ترك لأن الناسي لا يؤاخذ بنسيانه، وكل نسيان من الإنسان جاء في سياق الذم فهو صادر عن قصدٍ وتعمد، ولا يُعذرُ به. أمّا ما كان عن عذر فلا يؤاخذ به"⁽³⁾.

يقول سيد قطب رحمه الله: "وقد نسي ما عهد الله به إليه وضعف أمام الإغراء بالخلود فاستمع لوسوسة الشيطان وكان هذا ابتلاء من ربه له قبل أن يعهد إليه خلافة الأرض ونموذجاً من فعل إبليس يتخذ أبناء آدم منه عبرة فلما تم الابتلاء تداركت آدم رحمة الله فاجتباها وهداه"⁽⁴⁾.

(1) الأشقر، عمر سليمان عبد الله: الرسل والرسالات. ص98.

(2) سورة طه: 115.

(3) انظر، الزبيدي: تاج العروس. ج40 / ص75 76.

(4) قطب: في ظلال القرآن. ج4 / ص2353.

وكان نسيانه عليه السلام ناتجاً من طبيعته الجبليّة البشرية فهو "يحمل الضعف البشري تجاه الرغبة في البقاء والرغبة في السلطان ومن هذه الثغرة نفذ إليه الشيطان"⁽¹⁾. ثم إن الله تعالى أوضح أن آدم - عليه السلام - لم يتوفر لديه عنصر التعمد في فعلته فقال: ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾⁽²⁾ والعزم في اللغة: الجدُّ واعتزّمه واعتزم عليه أراد فعله.. ومن العزم معنى الصبر أي: لم نجد له صبراً وقيل: لم نجد له صريمة ولا حزمًا فيما فعل والصريمة والعزيمة واحدة وهي: الحاجة التي قد عزمت على فعلها"⁽³⁾.

وبذلك نرى أن المعصية من آدم - عليه السلام - لا ترتقي إلى منزلة الكبيرة بل هي من الصغائر ويستدل على ذلك من وجهين: "أحدهما أنهما نسيا الوعيد وظنا أنه نهي استحباب لا إيجاب، ولهذا قال: ﴿فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾⁽⁴⁾ والثاني أن أشير إلى شجرة بعينها وظنا المراد العين وكان المراد الجنس"⁽⁵⁾.

وسواء وقعت معصيته بنسيان منه أم باجتهاد في تحديد الشجرة هل عينها أم جنسها فإن ذلك صادر منه على طبيعته البشرية لأنه من جنسهم بل إنه هو أصلهم جميعاً وهذا لا يتنافى أبداً مع عصمته في تحمل رسالة ربه وشرعه لإعمار الأرض وتحقيق الاستخلاف فيها.

ومن النسيان الفطري عند الأنبياء - عليهم السلام - نسيان موسى - عليه السلام - حين رافق غلامه في طريق لقاء العبد الصالح الخضر - قال تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾⁽⁶⁾ فكان هذا النسيان سبباً في حدوث اللقاء المنشود ليتعلم من الخضر ما لم يبلغه علمه ومع أن النسيان هنا واقع من الغلام لأن الحوت كان معه ولأن موسى - عليه السلام -

(1) المرجع السابق: ج 4 / ص 2354.

(2) سورة طه: 115.

(3) انظر، ابن منظور: لسان العرب. ج 12 / ص 399 - 400. مادة (عزم).

(4) سورة طه: 115.

(5) الجصاص: أحكام القرآن. ج 4 / ص 203.

(6) سورة الكهف: 61.

طلب الغداء منه فأخبره بنسيان الحوت ومع هذا نسب الله تعالى النسيان لنبيه دليلاً على جواز ظهور هذه العوارض عليهم دون قدح في مقامهم⁽¹⁾.

ووقع النسيان من موسى عليه السلام مرة أخرى حين خالف طلب الخضر: ﴿ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحَدِّثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾⁽²⁾ فقال الله على لسان موسى: ﴿ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴾⁽³⁾ فكان قوله هذا "اعتذار بنسيان الوصية على أبلغ وجه"⁽⁴⁾.

المطلب الثاني: خوف موسى وفرع داود عليهما السلام :

الخوف لغة: الفرع خاف يخافه خوفاً وفي القرآن حمل معانٍ كثيرة منها معنى:

1- القتل قال تعالى: ﴿ وَلَنْبَلُوتِكُمْ بَشِيءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالسَّمَرَاتِ وَبَشِيرِ الصَّابِرِينَ ﴾⁽⁵⁾.

2- القتال قال تعالى: ﴿ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْتَنَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ﴾⁽⁶⁾.

3- العلم قال تعالى: ﴿ وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاصًا ﴾⁽⁷⁾ وقوله سبحانه: ﴿ فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْرَ عَلَيْهِ ﴾⁽⁸⁾ ⁽⁹⁾.

(1) انظر، الشنقيطي: أضواء البيان. ج 3 / ص 321.

(2) سورة الكهف: 70.

(3) سورة الكهف: 73.

(4) الألوسي: روح المعاني. ج 15 / ص 337.

(5) سورة البقرة: 155.

(6) سورة الأحزاب: 19.

(7) سورة النساء: 128.

(8) سورة البقرة: 182.

(9) مصطفى / الزيات / عبد القادر / النجار: المعجم الوسيط. ج 1 / ص 1046. وانظر، ابن منظور: لسان العرب. ج 9

ص 99 / 100. مادة (خوف). وانظر أيضاً، الزبيدي: تاج العروس. ج 23 / ص 289.

والخوف في اصطلاح العلماء: "هم يلحق لتوقع المكروه"⁽¹⁾.

فالخوف ظاهرة إنسانية وانفعال نفسي يسري عند البشر حين تعرضهم لما يُخَاف منه وهذا الانفعال عادة ما يقع بدون إرادة أو تحكم فهو جبلة فطرية في البشر.

ومن خلال دراسة قصة موسى عليه السلام - ومتابعة الآيات حولها نرى أنه تعرض لعارض الخوف في فترات ثلاث:

1- الفترة الأولى: ما قبل النبوة والبعثة حيث عاش موسى عليه السلام - وتربى في قصر فرعون بعد أن طلبت منه زوجته ذلك: ﴿ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾⁽²⁾ فلما كبر وبلغ مبلغ السعي والخروج دخل المدينة ليجد قتالاً بين شخصين أحدهما من قوم فرعون والآخر من بني إسرائيل فتدخل موسى عليه السلام - بعد استغاثة الذي من شيعته ﴿ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ﴾⁽³⁾ والوكز: الطعن بجمع الكف⁽⁴⁾ وكانت وكزة واحدة قضت عليه فلما وقع منه هذا الفعل صار بالمدينة خائفاً وجللاً ﴿ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ ﴾⁽⁵⁾، أي: "خائفاً من أن يطالب بدم القبطي الذي قتله وهو يترقب أي: يراقب ما يقال في شأنه ليكون متحفظاً للاختفاء أو الخروج من المدينة"⁽⁶⁾.

إن المتأمل في هذه الآية ليرى تجسيداً بليغاً لذلك الانفعال النفسي الذي صدر من موسى عليه السلام - يقول سيد قطب: "ولفظ (يترقب) يصور هيئة القلق الذي يتلفت ويتوجس ويتوقع الشر في كل لحظة وهي سمة الشخصية الانفعالية تبدو في هذا الموقف كذلك. والتعبير يجسم هيئة الخوف والقلق بهذا اللفظ كما أنه يضخمها بكلمتي (في المدينة) فالمدينة عادة

(1) الكفوي: الكليات. ص356.

(2) سورة القصص: 9.

(3) سورة القصص: 15.

(4) ابن منظور: لسان العرب. ج 5 / ص430. مادة (وكز).

(5) سورة القصص: 18.

(6) ابن عاشور: التحرير والتنوير. ج 20 / ص93.

موطن الأمن والطمأنينة فإذا كان خائفاً يترقب في المدينة فأعظم الخوف ما كان في مأمن ومستقر!⁽¹⁾.

ثم إن خلافاً آخر وقع في المدينة نتج عنه معرفة القبطي أحد أطراف الخلاف بهوية قاتل الأمس فنقل الخبر إلى فرعون وحاشيته فعزموا أمرهم على قتل موسى عليه السلام - جزاء فعلته ولكن الله تعالى يهیی في كل الظروف من يدافع عن أوليائه المتوكلين عليه ويحفظهم من بطش أعدائهم فجعل الله خلاص موسى عليه السلام - على يد رجل من أهل المدينة قد سمع بخبر القوم وعلم بمؤامرتهم على قتله فحذره: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّكَ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾⁽²⁾ فبدون انتظار ولا تفكير حيث لا مجال لكليهما اتخذ موسى عليه السلام - قراره وأسرع في تنفيذه: ﴿فَرَجَّ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾⁽³⁾ ويظهر هنا مرة أخرى ذلك العارض البشري والانفعال النفسي الذي سيطر على حياة موسى عليه السلام - في هذه الفترة ألا وهو الخوف وكان خوفه عند خروجه من المدينة مقروناً بالتوكل على الله واللجوء إليه: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾⁽⁴⁾ فهو أمان المستجيرين سبحانه وتعالى.

2- الفترة الثانية: لحظة النبوة والبعثة: حيث خرج موسى عليه السلام - بزوجه بعد أن قضى الأجل المتفق عليه لرعي الغنم وفي طريقه أبصر ناراً فتوجه إليها علّه يجد عندها خبراً أو يحصل على حاجة تُقْبِيتهُ وزوجه وه ناك ك انت إرادة الله ن افذة له بالبعثة والذ بوة ﴿فَلَمَّا أَنهَا تُودَى يَمُوسَى﴾⁽¹¹⁾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿12﴾ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ﴿13﴾⁽⁵⁾ وقد تزامن مع اختيار الله له أن أعطاه دلائل وعلامات على نبوته فكانت معجزة له ﴿وَأَنَّ أَلْقَى عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا نُتَهَتْزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾⁽⁶⁾ وهنا يعود انفعال الخوف إلى نبي الله موسى عليه السلام - حين رأى عصاه الجامدة التي لا حياة فيها تتحول إلى

(1) قطب: في ظلال القرآن. ج 5 / ص 2682 2683.

(2) سورة القصص: 20.

(3) سورة القصص: 21.

(4) سورة القصص: 21.

(5) سورة طه: 11 13.

(6) سورة القصص: 31.

ثعبان عظيم يقول سيد قطب: "وأدركت موسى عليه السلام طبيعته الانفعالية وأخذته هزة المفاجأة التي لم تخطر له ببال وجرى بعيداً عن الحية دون أن يفكر في الرجوع وهي حركة تبدو فيها دهشة المفاجأة العنيفة في مثل تلك الطبيعة الشديدة الانفعال"⁽¹⁾ ومن شدة خوفه تولى دون أن يعقب ومعناه: "لم يرجع على عقبه من توليه"⁽²⁾. ولكنه أقبل بعد أن أمّنه الله بقوله: ﴿يَمُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْأَمِينِ﴾⁽³⁾ وكان النهي هنا ﴿وَلَا تَخَفْ﴾ نهي عن استمرار الخوف لا عن وقوعه لأنه وقع منه ابتداء وانتهى⁽⁴⁾.

3- **الفترة الثالثة:** ما بعد النبوة والبعثة فحين أرسل الله موسى عليه السلام نبياً إلى فرعون وقومه جعل معه آيات تدل على نبوته فكان أبرزها عصاه ويده قال تعالى: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمُرْسَلِينَ﴾⁽¹⁰⁾ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَلْ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ⁽¹¹⁾ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي سِتْرٍ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ⁽¹²⁾ ⁽⁵⁾ فلما عرض على فرعون وقومه هاتين الآيتين اتهموه بالسحر وأوضح له فرعون أنه يمتلك مثل هذا الفعل: ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ سِحْرٌ مِثْلَهُ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سَوِيًّا قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضَحَى﴾⁽⁶⁾ فلما كان الموعد واجتمعوا في الميقات المحدد لذلك تقدم سحرة فرعون فألقوا ما لديهم من حبال وعصي فتهيأ لموسى عليه السلام أن هذه الحبال والعصي تتحرك بفعل سحرهم ﴿فَإِذَا جَاءَهُمْ وَعَصِيَّتُهُمْ تُخِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهُا تُسْعَى﴾⁽⁷⁾ فوقع الخوف في نفسه ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾⁽⁸⁾ فهذا نبي مبعوث من عند الله يعتريه الخوف ويتغلغل في نفسه لعظمة ما قدمه أولئك السحرة لكن الله تعالى يذكر موسى عليه السلام بالقوة التي يمتلكها ويستمدّها من الله فمعه القوة العظمى

(1) قطب: في ظلال القرآن. ج 5 / ص 2629.

(2) ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. ج 4 / ص 287.

(3) سورة القصص: 31.

(4) انظر، ابن عاشور: التحرير والتنوير. ج 8 / ص 228.

(5) سورة النمل: 10 - 12.

(6) سورة طه: 58.

(7) سورة طه: 66.

(8) سورة طه: 67.

والغلبة الكبرى فانقلب السحر على الساحر وعلا أمر الإيمان على الكفر وتغلغل الإيمان في قلوب السحرة عندما رأوا بأعينهم ما حدث وهم أهل الصنعة والخبرة فعملوا أنه ما كان سحراً أبداً.

بهذه الأمثلة نرى أن انفعال الخوف وقع من موسى عليه السلام في ظروف ملائمة لهذا الانفعال وكان مصدره النفس البشرية التي تتأثر بتلك المواقف ولم يقدح هذا الانفعال في شخص موسى عليه السلام ولم ينتقص من مقامه فلا تعارض بين القول بعصمة الأنبياء وبين هذه العوارض ولا يقلل ذلك من منزلتهم العظيمة.

يقول الدكتور الخالدي معلقاً على خوف موسى عليه السلام بعد قتل القبطي وخروجه من المدينة: "أصبح في المدينة خائفاً يترقب لأنه يخشى أن ينكشف أمره وهذا الخوف منطقي لا يلام عليه ولما علم أن فرعون أصدر أمره بقتله خرج من المدينة خائفاً يترقب. وسبق وصول الجنود إليه وهذا الخوف أيضاً منطقي لا يلام عليه وهو ليس جبناً ولا ضعفاً ألا تريد من رجل يخاف بعد أن أصدر الحاكم أمره باعتقاله وقاتله"⁽¹⁾.

وأضاف أيضاً في خيفة موسى أمام السحرة قوله: "وهذه الخيفة العرضية التي أملت بموسى عليه السلام من لوازم بشريته ولا يلام عليها لأنه لم تستمر طويلاً ولم تتحول إلى جبن وخوف ولم تؤد به إلى الهزيمة ومرور الخيفة به سريعاً على صورة طائف عرضي موقوت أمر مفهوم مبرر لأنه كان في مباراة كبيرة ومعركة كبيرة ومن كان مكانه لا يتوجس خيفة وإنما ينهار من الخوف"⁽²⁾.

فصل فزع داود عليه السلام :-

لما كان الخوف بمعنى الفزع أشير هنا إلى ما تحدث به القرآن عن فزع نبي الله داود عليه السلام حيث تسور عليه محرابه شخصان وهو مغلق عليه فأصابه الفزع ﴿ وَهَلْ

(1) انظر: الخالدي، صلاح: مواقف الأنبياء في القرآن تحليل وتوجيه. ص 231. ط 1. دمشق: دار القلم.

(2) انظر: الخالدي، صلاح: مواقف الأنبياء في القرآن تحليل وتوجيه. ص 152.

أَتَنَكَ نَبْوُ الْحَصَمِ إِذْ سَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴿١١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ﴿١﴾ (1) وذلك أن فعلهم لم يكن طبيعياً ودخولهم كان مفاجئاً يقول ابن عطية: "وإنما فزع من حيث دخلوا من غير الباب ودون استئذان وقيل: إن ذلك كان ليلاً" (2) ولقد لاحظ الشخصان انفعال الفزع والخوف لدى داوود عليه السلام فأَمَّنَاهُ وَطَمَأَنَاهُ ﴿٢٢﴾ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَعَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَأَحَكُمُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا نُشِطُّ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿٢٣﴾ (3)، ففوق الخوف منه كان مبرراً وطبيعياً لنفسه البشرية وهذا سلوك الأنبياء من قبله.

المطلب الثالث: عبوس النبي محمد صلى الله عليه وسلم :

العبوس في اللغة: من عبس يعبس عبساً وعبس: قطب ما بين عينيه (4) وفي المعجم الوسيط: "عبس فلان عبساً وعبوساً: جمع ما بين عينيه وجلد جبهته وتجهم" (5) والأصل في هذا اللفظ -أعني العبوس ما ذكره ابن فارس: "(العين والباء والسين) أصل صحيح يدل على تَكَرُّه في شيء وأصله العبس: ما يبس على هلب الذنب من بعر وغيره وهو من الإبل كالوذح من الشاء" (6).

وفي الاصطلاح عرفه الأصفهاني بقوله: "قطوب الوجه من ضيق الصدر قال تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ (7) وقال: ﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ﴾ (8) ومنه قيل يوم عبوس قال سبحانه: ﴿يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ (9) وباعتبار ذلك قيل: (العبس) لما يبس على هلب الذنب من البعر والبول (10).

(1) سورة ص: 21 - 22.

(2) ابن عطية: المحرر الوجيز. ج 4 / ص 498.

(3) سورة ص: 22.

(4) ابن منظور: لسان العرب. ج 6 / ص 128. مادة (عبس).

(5) مصطفى القادر الزيات النجار: المعجم الوسيط. ج 1 / ص 610.

(6) ابن فارس: معجم مقاييس اللغة. ج 4 / ص 210 - 211.

(7) سورة عبس: 1.

(8) سورة المدثر: 22.

(9) سورة الإنسان: 10.

(10) الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن. ج 2 / ص 416.

ومن هذا التعريف وبتتبع آيات القرآن يظهر أن انفعال (العبوس) وقع من شخصين ذكرهما القرآن، فقد وقع من الرسول صلى الله عليه وسلم في موقفه مع الأعمى ابن أم مكتوم حيث قال تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ﴿١﴾﴾ (1) ووقع من الوليد ابن المغيرة حين طلب منه كفار قريش رأيهم بما سمع من آيات القرآن عند قوله تعالى: ﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾﴾ (2) وما يهمننا في هذه الدراسة هو ذلك العبوس الذي وقع من سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لأنه مجال البحث والدراسة.

تفاصيل الحادثة:

لقد وقع هذا العبوس من النبي صلى الله عليه وسلم وهو مشغول بدعوة عظيم من عظماء المشركين وكان حريصاً على إسلامه لأن في إيمانه ودخوله مع المسلمين فتح لباب إيمان من بعده من قومه وغاية الرسول - عليه الصلاة والسلام - في دعوته كانت منصبية على إخراج الناس من الكفر إلى الإيمان أما من تغلغل الإيمان في قلبه فلا مانع لو أصر قضاء مسألته أو أجله في محادثته وكان هذا اجتهاداً منه صلى الله عليه وسلم .

فجاء العتاب من الله تعالى لرسوله على هذا الانفعال مببراً بقوله: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكِّي ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى ﴿٤﴾ أَمَا مِنْ أَسْتَفْتَى ﴿٥﴾ فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَكِّي ﴿٧﴾ وَأَمَا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَى ﴿٩﴾ فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى ﴿١٠﴾ كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾﴾ (3) فكان هذا العتاب من الله لنبيه لأنه خالف الأولى باجتهاده وكان العتاب قوياً في لهجته لتربية النفوس وردعها عن مثل هذا الأمر يقول سيد قطب: "ثم يستدير التعبير بعد مواراة الفعل الذي نشأ عنه العتاب يستدير إلى العتاب في صيغة الخطاب فيبدأ هادئاً شيئاً ما: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكِّي ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى ﴿٤﴾﴾ ما يدريك أن يتحقق هذا الخير الكبير أن يتطهر هذا الرجل الأعمى الفقير الذي جاءك راغباً

(1) سورة عبس: 1.

(2) سورة المدثر: 22.

(3) سورة عبس: 3 11.

فيما عندك من الخير وأن يتيقظ قلبه فيتذكر فتتفعه الذكرى" (1) ثم يكمل كلامه حول العتاب قائلاً: "ثم تعلقو نبرة العتاب وتشد لهجته وينقل إلى التعجب من ذلك الفعل محل العتاب: ﴿٤﴾ أَمَا مِنْ أَسْتَغْنَى ﴿٥﴾ فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَرْكَبَ ﴿٧﴾ وَأَمَا مِنْ جَاءَكَ يَسْعَى ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْتَنِي ﴿٩﴾ فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى ﴿١٠﴾" أما من أظهر الاستغناء عنك وعن دينك و عما عندك من الهدى والخير والنور والطهارة أما هذا فأنت تتصدى له وتحفل بأمره وتجهد لهديته وتتعرض له وهو عنك معرض! وما يضيرك أن يظل في رجبه ودينه وأنت لا تسأل عن ذنبه وأنت لا تنصير به وأنت لا تقوم بأمره وأما من جاءك يسعى طائعا مختاراً وهو يخشى ويتوقى فأنت عنه تلهي! ويسمي الانشغال عن الرجل المؤمن الراغب في الخير التقي تلهياً وهو وصف شديد" (2). وبعد هذه اللهجة العتابية يكمل سيد قوله: "ثم ترتفع نبرة العتاب حتى تبلغ حد الردع والزجر: (كلا)! لا يكون ذلك أبداً" (3).

ولعل ما دفع إلى هذا الأسلوب القوي من العتاب هو بلوغ العبوس من النبي صلى الله عليه وسلم - من نفسه مبلغاً عظيماً حيث عبس بوجهه وأعرض بجسده عن الأعمى وبالرغم من قول القرطبي أن التولي بمعنى الإعراض بالوجه (4) إلا أن الأصفهاني خالفه بقوله: "والتولي قد يكون بالجسم" (5) ومال إلى هذا القول الشيخ السعدي في تفسيره قائلاً: "عبس أي في وجهه وتولى في بدنه" (6) ومن معنى التولي إدارة الظهر مدبراً كما ذكره الميداني (7).

(1) قطب: في ظلال القرآن. ج 6 / 3825.

(2) قطب: في ظلال القرآن. ج 6 / 3825.

(3) قطب: في ظلال القرآن. ج 6 / 3825.

(4) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن. ج 19 / ص 211.

(5) الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن. ج 2 / ص 694.

(6) السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. ج 1 / ص 910.

(7) انظر، الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة: معارج التفكير ودقائق التدبير. ج 2 / ص 217. دمشق: دار القلم.

وخالصة الأمر أن العبوس وقع من النبي صلى الله عليه وسلم اجتهاداً منه وحرصاً على إسلام من كان معه وليس احتقاراً للأعمى ولكن الله عاتبه في ذلك بالرغم من عدم رؤية الأعمى لانفعال الرسول وإعراضه وقد كان لهذا العتاب أثراً في نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم انعكس في تعامله مع ابن أم مكتوم فقد كان يهش ويبيش للقائه واستخلفه على المدينة مرتين وكان يكرمه إذا لقيه.

الفصل الخامس

موقف الكفار من بشرية الأنبياء - عليهم السلام -

المبحث الأول: الاستهزاء والسخرية.

المبحث الثاني: الطعن والتشكيك.

المبحث الثالث: التكذيب والعناد.

المبحث الأول

الاستهزاء والسخرية

الاستهزاء لغة: من هزأ الهُزءُ والهُزؤُ بمعنى السخرية⁽¹⁾. وهزأ منه وهزأ به بمعنى سخر وهي من الأفعال التي تتعدى بـ (من) تارة وبـ (الباء) تارة أخرى⁽²⁾.

ومعناه في الاصطلاح: ارتياد الهُزءِ⁽³⁾ أي: اعتياد السخرية وممارستها في جميع الأحوال. يقول ابن تيمية رحمه الله -: "والاستهزاء هو السخرية وهو حمل الأقوال والأفعال على الهزل واللعب لا على الجد والحقيقة فالذي يسخر بالناس هو الذي يذم صفاتهم وأفعالهم ذمًا يخرجها عن درجة الاعتبار"⁽⁴⁾.

وقد ذكر العسكري فرقاً بين الاستهزاء والسخرية فقال: "أن الإنسان يُسْتَهْزَأُ به من غير أن يسبق منه فعل يُسْتَهْزَأُ به من أجله والسُّخْرُ يدل على فعلٍ يسبق من المسخور منه والعبارة من اللفظين تدل على صحة ما قلناه وذلك أنك تقول: استهزأت به فتعدى الفعل منك بالباء والباء للإصاق كأنك ألصقت به استهزاء من غير أن يدل على شيء وقع الاستهزاء من أجله وتقول: سخرت منه فيقتضي ذلك من وقع السخر من أجله كما تقول: تعجبت منه فيدل ذلك على فعل وقع التعجب من أجله"⁽⁵⁾.

إن الاستهزاء والسخرية ظاهرة اقترنت بكل الدعوات الإصلاحية التي جاء بها الأنبياء عليهم السلام - واستمرت هذه الظاهرة تلاحق من سار على دربهم بالدعوة والإصلاح فهي

(1) انظر، ابن منظور: لسان العرب. ج 1 / ص 183. مادة (هزأ).

(2) الزبيدي: تاج العروس. ج 1 / ص 509. وانظر، مصطفى القادر الزيات النجار: المعجم الوسيط. ص 983.

(3) المناوي، عبد الرؤوف: التوقيف على مهمات التعاريف. ص 50. تحقيق الدكتور عبد الحميد صالح حمدان. ط 1. القاهرة: عالم الكتب. 1410 هـ - 1990 م.

(4) ابن تيمية، أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم: الفتاوى الكبرى. ج 3 / ص 113. تحقيق وتقديم حسنين محمد مخلوف. بيروت: دار المعرفة.

(5) العسكري، أبو هلال: الفروق اللغوية. ص 254. تحقيق: محمد إبراهيم سليم. القاهرة: دار العلم والثقافة.

صفة لأولئك المعاندين المكذبين الذين لا يقبلون صرفاً⁽¹⁾ ولا عدلاً⁽²⁾ ولا يرضون بما يخرجهم من الضلال والجهل والظلام إلى الهداية والعلم والنور .

وقد جاء في القرآن آيات كثيرة تناولت الاستهزاء من جوانب مختلفة منها إقرار هذه الحقيقة وتحقيق حدوثها من أصحابها تجاه الأنبياء عليهم السلام وفي مواضع أخرى تحدث القرآن الكريم عن عاقبة هؤلاء المستهزئين وجزائهم عند الله على أفعالهم .

فمن الآيات التي ذكرت وقوع السخرية والاستهزاء قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾⁽³⁾ وقوله سبحانه: ﴿ يَحْسَرَةَ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾⁽⁴⁾ وفي موضع آخر يقول جل وعلا: ﴿ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيِّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾⁽⁵⁾ ويقول سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ أَسْتَهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ ﴾⁽⁶⁾ .

فكل هذه الآيات على اختلاف مواضعها تقرر حقيقة هذه الظاهرة وحدثها من الأقوام تجاه أنبيائهم عليهم السلام - وبالرغم من تنوع مكانهم وزمانهم وظروف حياتهم إلا أنهم التقوا في قاسم مشترك يجمعهم ألا وهو الاستهزاء بأولئك المبعوثين بالهداية والصلاح من الله تعالى. وفي هذا دلالة على أن الدعوات الإصلاحية في أي زمان أو مكان تُقلق أصحاب النفوس المريضة ويصعّب على عقولهم تقبلها مع ضعفهم وعجزهم في إظهار بطلانها وعدم صلاحيتها فيلجئون إلى هذا التصرف السخيف الذي إن دل على شيء فهو يدل على سفه عقولهم وضعف إدراكهم. فالسخرية والاستهزاء منهج متبع وسنة دارجة لدى الكفار والمكذبين والمعاندين وقد ذكر القرآن هذه الظاهرة لنبيه صلى الله عليه وسلم ليخبره أن من سبقه قد تعرض لمثل هذه المواقف فلا يحزنك ما يُظهره لك قومك من مثلها .

(1) الصرف: التقلب والحيلة. انظر، ابن منظور: لسان العرب. ج9 / ص190. مادة (صرف).

(2) العدل: الفداء. انظر، المرجع السابق.

(3) سورة الحجر: 11.

(4) سورة يس: 30.

(5) سورة الزخرف: 7.

(6) سورة الأنعام: 10، وسورة الرعد: 32، وسورة الأنبياء: 41.

وإن المتتبع لآيات القرآن الكريم يرى ويشاهد عاقبة هؤلاء المستهزئين وما حلَّ بهم من خلال مواضع كثيرة مختلفة مما ذكره الله عن عاقبتهم بشكل عام قوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أَسْهَرْنَا بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (1) ففي هذه الآية ذكر عام بأن الله عاقب المستهزئين على ما وقع منهم ولحق بهم عقابه جزاء فعلهم يقول صاحب الكشاف: "فأحاط بهم الشيء الذي كانوا يستهزؤون به وهو الحق حيث أهلكوا من أجل الاستهزاء به" (2) وهنا ضمان من الله تعالى لكل من وقع له الاستهزاء أن الله يعاقب المستهزئين على فعلهم "لأنه متضمن أن من استهزأ بالرسول عوقب" (3). وفي هذه الآية دلالات ثلاث:

1- إخبار بما جرى للمستهزئين بالرسول قبل الرسول محمد - صلى الله عليه وسلم - .

2- وعيد متيقن لمن استهزأ بالرسول صلى الله عليه وسلم .

3- تثبيت للرسول صلى الله عليه وسلم على عدم اكترائه بهم لأن مآلهم إلى التلف والعقاب الشديد المرتب على الاستهزاء (4).

وفي سياقات أخرى من كتاب الله العظيم ذكر سبحانه تفصيلاً لعقوبتهم من ذلك عقوبة قوم نوح على سخريتهم واستهزائهم قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ (5) وكذلك عقوبة قوم هود يقول سبحانه: ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْتَهُ كَالرِّيمِ ﴿٤٢﴾﴾ (6) وأيضاً عقوبة قوم صالح قال جل وعلا: ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَرِهِمْ جَثْمِينَ ﴿٦٧﴾﴾ (7) وغيرهم كثير.

(1) سورة الأنعام: 10.

(2) الزمخشري: الكشاف. ج 2 / ص 10.

(3) الألوسي: روح المعاني. ج 7 / ص 101.

(4) انظر، أبا حيان: البحر المحيط. ج 4 / ص 84.

(5) سورة العنكبوت: 14.

(6) سورة الذاريات: 41 - 42.

(7) سورة هود: 67.

إن السخرية والاستهزاء من علامات الكفر الصريح التي نص القرآن عليها قال تعالى:

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴿١﴾ "فقد نهوا عن الاعتذار لأنها اعتذارات كاذبة فهي لا تنفع ﴿١﴾ قَدْ كَفَرْتُمْ ﴿٢﴾ فِيهَا أَظْهَرْتُمْ الْكُفْرَ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ أَي: بعد إظهار إيمانكم لأنهم كانوا يُسِرُّونَ الْكُفْرَ فَأَظْهَرُوهُ بِاسْتَهْزَائِهِمْ" (2) فكان هذا الاستهزاء علامة على ما يبطنونه في سريرتهم من الكفر.

إن المستهزئ من الكفار والمكذبين يكون قد بلغ درجة متقدمة في كفره وعناده وعدائه لأن من الكفار من لا يناصر العدا للؤمنين ولا لدعوتهم وكذلك لا يلاحق وجودهم بل يعيش مقتنعاً بنفسه بعيداً عن غيره أما من يلاحق أصحاب الدعوات الإصلاحية ويتابع وجودهم فيصل به الأمر إلى التهكم بهم والاستهزاء بدعوتهم والتطاول عليها فقد بلغ درجة عالية من الكره والعداء لهم وأمعن في كفره وغيبه. ولكل فئة منهم طريقة للتعامل معهم أوضحها الله في كتابه العزيز فقال سبحانه: ﴿ لَا يَنْهَكُكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقِنَّاكُمْ فِي الدِّينِ وَلَوْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِينِكُمْ أَنَّ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسَطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَتَلُواكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِينِكُمْ وَظَهَرُوا عَلَيْكُمْ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩﴾ (3) ففي الآيات "إشارة إلى أنه متى أطاعت النفس وأمن جماعها جاز إعطاؤها حظوظها المباحة" (4).

وإنما وقع الاستهزاء من الكفار والمكذبين بسبب نفسياتهم السيئة وأخلاقهم الملوثة وبيئتهم الخبيثة فعادتهم تملئ عليهم عدم قبول الآخر إذا جاء بما ينال من جبروتهم ومكانتهم ولو كان حقاً ولو كانت دعوته تجلب النفع والخير لهم ولأمتهم. وهؤلاء المستهزئون هم من العوائق في طريق الدعوة وإحدى عثراتها فوقوف المستهزئين أمام أصحاب الدعوات يزيد من معاناتهم ويتقل كاهلهم فعدم قبول الدعوة فقط أهون من ردها وتناولها بالسخرية وملاحقتها بالاستهزاء.

(1) سورة التوبة: 65 66.

(2) أبو حيان: البحر المحيط. ج 5 / ص 68.

(3) سورة الممتحنة: 8 9.

(4) الألويسي: روح المعاني. ج 28 / ص 82.

وبالرغم من وجود هذه الفئة وظهور هذا السلوك إلا أن الله تكفل لأنبيائه بدفع شرهم وكفاية أمرهم يقول الله تعالى مخاطباً نبيه صلى الله عليه وسلم -: ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾ (1) فهو امتنان من الله تعالى أن جعل أمرهم إليه فقطع دابرهم وعاقبهم على استهزائهم وفي ذلك وعد قائم لكل الدعاة والمصلحين السائرين على نهج الأنبياء بأن الله يكفيهم أمر هذه الفئة.

فاعتماداً على تكفل الله بأمرهم أرشدنا للإعراض عنهم وتفويض أمرهم إلى الله تعالى فلا ينبغي لأصحاب الدعوات أن ينشغلوا بمثل هؤلاء عن دعوتهم العظيمة ورسالتهم السامية كما لا ينبغي أن نرفع من قيمة هؤلاء المستهزئين بالاهتمام بكلامهم والوقوف على تفاهتهم وتُرَّهاتهم لأنه قد يكون في ذلك نشر لخبثهم على حين غفلة من صاحب الدعوة فالترام أمر الله بالتبليغ هو المخرج من هذا المحذور قال تعالى: ﴿ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَانُ الْمُرِيءِ ﴾ (2) أي: "وما عليه إلا أن يبلغ ما له نفع في قبولكم ولا عليه ضرر في توليكم والبلاغ بمعنى التبليغ" (3) فالواجب على الرسول التبليغ والانشغال بذلك وعدم الالتفات لغيره والرسول هنا تشمل كل من حمل واجب التبليغ والدعوة "أي ما على جنس الرسول كائناً من كان" (4).

همسة من الواقع:

إن مما يؤكد على وجوب الإعراض عن المستهزئين والمكذابين والمعاندين أن التجارب والواقع يثبتان أن الاهتمام بأمرهم ومتابعة أقوالهم يؤدي إلى زيادة وطغيان من قبلهم ولا أدل على ذلك من أحداث الاستهزاء برسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم قبل فترة ليست بالبعيدة وذلك من خلال رسومات فاضحة ومهينة فثارت ثائرة العلماء والدعاة وهزوا المنابر والمحافل دفاعاً عن رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام - فنادوا بمقاطعة تلك الدول

(1) سورة الحجر: 95.

(2) سورة النور: 54.

(3) الزمخشري: الكشاف. ج 3 / ص 255.

(4) الألويسي: روح المعاني. ج 18/ص 201

وعمدوا إلى تحقير أصحاب هذا العمل فلم يكن ردة فعلهم إلا أنهم عمدوا إلى إنتاج فلم إباحي أقطع من تلك الصور وأشنع فلو وقف العلماء أمام هذه الفعلة موقف المعرض كما أمر الله تعالى: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (1) لَمَا وجدوا لفعالهم صدى ولا لهُرُوتِهِم اهتمام فينقلبون على أعقابهم خاسئين.

لاشك أن النيل من دين الله ونبيه - صلى الله عليه وسلم - هو نهج الكفرة والضلال وهم لا يقدمون على ذلك إلا لعظمة هذا الدين وعلو قدره فلا يروقه ذلك ونبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - لا يحتاج لمن يوضح فضله ومنزلته فهو مخرج البشرية جمعاء من الضلالة العمياء إلى الهداية المبصرة.

ولقد كان لهذه الحادثة جانب إيجابي ظهر في رجوع كثير من المسلمين لدينهم وإظهار حبهم لرسولهم - صلى الله عليه وسلم - والعمل على الدفاع عن سنته وتنوير أذهان الغرب لعظمة شخصه - صلى الله عليه وسلم - ثم تتوجت تلك الأحداث بإسلام من قام بالرسومات الخبيثة وإظهار إسلامه على الملأ.

إن أصحاب الدعوة الذين يأتون الناس بالمعروف وينهونهم عن المنكر لا بد أن ينالهم أذى قومهم، سواء كان الأذى قولاً أم فعلاً لذلك أمر الله بالإعراض عنهم. يقول الإمام الرازي معلقاً على قوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (2): "ثم إنه إذا أمر بالعرف ورغب فيه ونهى عن المنكر ونفر عنه فربما أقدم بعض الجاهلين على السفاهة والإيذاء فلهذا السبب قال تعالى في آخر الآية: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (3).

(1) سورة الأعراف: 199.

(2) سورة الأعراف: 199.

(3) الرازي: التفسير الكبير. ج 15 / ص 78.

المبحث الثاني

التشكيك والطعن

لقد سلط القرآن الكريم الضوء على الغاية والهدف من بعث الأنبياء عليهم السلام - وهي دعوة الناس إلى عبادة الله وتوحيده دون سواه قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾⁽¹⁾ ففي هذه الآية "يخبر تعالى أن حجته قامت على جميع الأمم وأنه ما من أمة متقدمة أو متأخرة إلا وبعث الله فيها رسولاً وكلهم متفقون على دعوة واحدة ودين واحد، وهو عبادة الله وحده لا شريك له"⁽²⁾ يقول جل في علاه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾⁽³⁾ فقد "أرسلت الرسل بالإخلاص والتوحيد لله لا يقبل منهم حتى يقولوه ويقرؤا به"⁽⁴⁾ فمن هذه الآيات نعلم أن دعوتهم - عليهم السلام - مشتركة في تحرير الإنسان من ذل العبودية لغير الله وتعزيز كرامته من خلال ارتباطه برب الكون سبحانه وإصلاح مجتمعه من وطأت الظلم واستبداد المستكبرين.

إن المتتبع لقصاص الأنبياء - عليهم السلام - في القرآن الكريم وكيفية مجاهدتهم مع قومهم في الدعوة إلى الله ليرى بجلاء مواقف التشكيك والطعن بنبوتهم ودعوتهم وهذا التشكيك والطعن وقع منهم على محاور ثلاث:

1- المحور الأول: التشكيك بجنس النبي وذاتيه:

لقد كان صعباً على أقوام الأنبياء - عليهم السلام - أن يكون نبيهم من جنسهم وعلى شاكلتهم وبطباعهم نفسها وقد كان واحداً منهم يعرفونه ويشاهدونه ويعيشون معه مدة من الزمن ثم بعد ذلك يخرج لهم ليخبرهم أنه نبي يوحى إليه من الله تعالى ولذلك ردوا على دعوة

(1) سورة النحل: 36.

(2) السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. ج 1 / ص 440.

(3) سورة الأنبياء: 25.

(4) السيوطي، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين: الدر المنثور في التفسير المأثور. ج 5 / ص 624. بيروت: دار الفكر. 1993م.

نبيهم فيما بينهم: ﴿ مَا هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِّثْلُكُمْ يَا كُلِّ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴾ (٣٣) وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشْرًا مِثْلَكُمْ
 إِنَّكُمْ إِذَا لَخَسِرُونَ ﴿٣٤﴾ (1) ففي الآية "كناية عن تكذيبه في دعوى الرسالة لتوهمهم أن البشرية
 تنافي أن يكون صاحبها رسولاً من الله" (2) ويقول الله في موضع آخر مسجلاً اعتراضهم:
 ﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَفْضَلَ عَلَيْكُمْ ﴾ (3) فقد أخبر الله تعالى عن
 سبب تشكيكهم وطعنهم بأن "هذا الإنسان مشارك لكم في جميع الأمور ولكنه أحب الرياسة
 والمتبوعية فلم يجد إليهما سبيلاً إلا بادعاء النبوة فصار ذلك شبهة لهم في القبح في نبوته
 فهذا الاحتمال متأكد بقوله تعالى خبراً عنهم: ﴿ يُرِيدُ أَنْ يَفْضَلَ عَلَيْكُمْ ﴾ أي: "يريد -بادعائه
 النبوة والرسالة - أن يطلب الفضل عليكم ويرأسكم" (4) فدرجة التساوي بينهم وبين أنبيائهم في
 البشرية لا تعطيمهم أحقية التفاضل عليهم بمثل هذه الدعوة ثم إنهم يعترضون على هذه الدعوة
 من جهة أخرى وهي أن تلك الدعوات دعوة سماوية نزلت من عند الله فلو كانت كذلك فإن
 الأقرب والأنسب أن يأتي بها ملك من الملائكة لقربهم من العالم السماوي ولمنزلتهم العالية عن
 سائر البشر حسب زعمهم وقد سجل القرآن هذا الاعتراض في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ
 مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولِينَ ﴾ (5) ففي قولهم هذا "بيان لعدم رسالة البشر على
 الإطلاق على زعمهم الفاسد بعد تحقيق بشريته - عليه السلام - أي: ولو شاء الله تعالى إرسال
 الرسول لأرسل رسلاً من الملائكة" (6). ومع ذلك فإنه لا يتناسب للتعامل معهم كبشر إلا مخلوق
 من جنسهم فجاء الرد من الله تعالى: ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكَاً لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا
 يَلْبَسُونَ ﴾ (7) فالآية واضحة الدلالة على أن المرسل من عند الله لا بد أن يتناسب مع
 المرسل إليهم في جنسه وخلقته وتصرفاته حتى يكون التوافق بينهم واقعاً وأن يكون التواصل
 بينهم ميسوراً يقول الإمام الزمخشري حول هذه الآية: "ولو جعلنا الرسول ملكاً كما اقترحوا

(1) سورة المؤمنون: 33 34.

(2) ابن عاشور: التحرير والتنوير. ج 18 / ص 52.

(3) سورة المؤمنون: 24.

(4) الرازي: التفسير الكبير. ج 23 / ص 80. وانظر، الألوسي: روح المعاني. ج 18 / ص 25.

(5) سورة المؤمنون: 24.

(6) الألوسي: روح المعاني. ج 18/ص 25.

(7) سورة الأنعام: 9.

لأرسلناه في صورة رجل كما كان ينزل جبريل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في أعم الأحوال في صورة دحية⁽¹⁾،⁽²⁾.

2- المحور الثاني: التشكيك والظعن في رسالة النبي:

استهجن أقوام الأنبياء - عليهم السلام - أن يكونوا على ضلال وغواية رغم اتباعهم دين الآباء والأجداد فهل كان آباؤهم وأجدادهم على ضلال! ثم زعموا أن دعوة هؤلاء الأنبياء لم تأت بما يستحق من أجله ترك عبادتهم وآلهتهم واتباع دين نبيهم الجديد يقول الله تعالى عن قوم هود عليه السلام:- ﴿قَالُوا يَا هُوْدُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾⁽³⁾ "أي بحجة والبيينة سميت بيينة لأنها تَبِينُ -تُظهِرُ- الحقَّ من الباطل ومن المعلوم أنه عليه السلام كان قد أظهر المعجزات إلا أن القوم بجهلهم أنكروها"⁽⁴⁾ ثم تبجحوا على نبيهم برفض دعوته وترك آلهتهم يقول سبحانه حكاية عنهم: ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾⁽⁵⁾ فلن نؤمن لك ولن نترك آلهتنا"المجرد أنك تقول بلا بيينة ولا دليل مع أن التوحيد لا يحتاج إلى بيينة بل يحتاج إلى توجيه وتذكير لأن كل الظواهر الخلقية تدل على وحدانية الله سبحانه"⁽⁵⁾.

ويتكرر الحدث ذاته على لسان قوم صالح عليه السلام - يقول الله تعالى: ﴿قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا﴾⁽⁶⁾ أي: "لقد كان لنا رجاء فيك لعلمك أو لعقلك أو لصدقك أو لحسن

(1) هو أبو داود دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة بن امرئ القيس الكلبي، كان أجمل الناس وجهاً، روى عن النبي - صلى الله عليه وسلم ، أسلم قديماً، ولم يشهد بدرأ، وشهد المشاهد، وبقي إلى خلافة معاوية، وكان رسول نبي الله - صلى الله عليه وسلم - إلى قيصر، قال الواقدي: لقيه بحمص في المحرم سنة 7، وقال بن البرقي: جاء عنه حديثان، وقال بعضهم: سكن دمشق وكان منزله قرب المزة.

ابن حجر، أبا الفضل أحمد بن علي العسقلاني: تهذيب التهذيب. ج3 / ص179. ط1. بيروت: دار الفكر. 1404هـ 1984م.

(2) الزمخشري: الكشاف. ج2 / ص9.

(3) سورة هود: 53.

(4) الرازي: التفسير الكبير. ج18 / ص13.

(5) قطب: في ظلال القرآن. ج3 / ص1898.

(6) سورة هود: 62.

تدبيرك أو لهذا كله ولكن رجاءنا قد خاب بك بعد الذي جئتنا به ووقع منك ما لم نتوقعه"⁽¹⁾ وبعد قولهم هذا عن نبيهم يخبرنا الله سبحانه عن موقف التشكيك والطعن في دعوته لهم - عليه السلام - قال تعالى: ﴿أَنْتَهِنَّا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكِّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾⁽²⁾ فهم يزعمون "أنهم لا يعلمون صحة ما يدعوهم إليه من توحيد الله وأن الألوهية لا تكون إلا له خالصاً وقوله ﴿مُرِيبٍ﴾ أي: يوجب التهمة"⁽³⁾ فهم لازالوا في شك مؤثر على قلوبهم فيما دعاهم إليه ويزعمون أن لو علموا صحة ما يدعوهم إليه لاتبعوه وأطاعوه وهم في ادعائهم هذا كاذبون مفترون"⁽⁴⁾.

فبالرغم من شهادتهم على علمه وعقله وصدقه واعترافهم بذلك إلا أنهم لمجرد أن دعاهم إلى توحيد الله ونبذ آلهة الآباء والأجداد التي لا تضر ولا تنفع انقلب ميزانهم وضاع حكمهم ورأيهم بأخيهم فانقلبوا من الاحترام إلى الإجمام ومن التقدير إلى التحقير فأصبح يُشكُّ بشخصه وبما جاء به من دعوة الحق.

ومثل هذا وقع مع نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - فعن ابن عباس رضي الله عنهما - قال: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾⁽⁵⁾ صَعِدَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَلَى الصَّقَاءِ فَجَعَلَ يُنَادِي يَا بَنِي فِهْرٍ يَا بَنِي عَدِيٍّ لِبَطُونِ قُرَيْشٍ حَتَّى اجْتَمَعُوا فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ أَرْسَلَ رَسُولًا لِيَنْظُرَ مَا هُوَ فَجَاءَ أَبُو لَهَبٍ وَقُرَيْشٌ فَقَالَ: ((أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالْوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِي؟)) قالوا: نعم ما جربنا عليك إلا صدقًا قال: ((فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ)) فقال أبو لهب: نَبَأَ لَكَ سَائِرَ الْيَوْمِ الْهَذَا جَمَعْتَنَا؟!⁽⁶⁾ فقد أقام عليهم الحجة بسؤالهم ليثبت لهم أنهم معاندون مكذبون لا أكثر وهذا ما

(1) انظر، قطب: في ظلال القرآن. ج 3 / ص 1907.

(2) سورة هود: 62.

(3) الطبري: جامع البيان. ج 12 / ص 63.

(4) انظر، السعدي: تيسير الكريم الرحمن. ج 1 / ص 385.

(5) سورة الشعراء: 214.

(6) البخاري: صحيح البخاري. ج 4 / ص 1787. كتاب التفسير. باب ﴿وَلَا تُخْفِي بَوْمًا يُبْعَثُونَ﴾⁽⁷⁾. رقم الحديث (4492).

يتعرض له الدعوة إلى الله في كل زمان ومكان فهم محبوبون ممن حولهم وهم عنوان الصلاح والهداية والاستقامة فإذا بدرُوا إلى الدعوة ولزومها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبإيضاح الحق وتفريع الباطل وأهله ؛ صاروا فسقة مفسدين بل مثيرين للفتنة فيناصبونهم العداة.

3- المحور الثالث: التشكيك والطعن في مكانة النبي من قومه:

لقد ظن الكفار المجرمون أن الله تعالى لو أراد أن يختار نبياً من البشر لكان اختياره لشخص عظيم في قومه كثير في ماله كبير في سلطانه ولذلك جاء قولهم كما أخبر سبحانه: ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرِيبَيْنِ عَظِيمٍ ﴾⁽¹⁾ قال الإمام الرازي: "وهؤلاء المساكين قالوا: مَنْصَبُ رسالة الله مَنْصَبٌ شريف فلا يليق إلا برجل شريف وقد صدقوا في ذلك إلا أنهم ضموا إليه مقدمة فاسدة وهي: أن الرجل الشريف هو الذي يكون كثير المال والجاه ومحمد ليس كذلك فلا تليق رسالة الله به وإنما يليق هذا المنصب برجل عظيم الجاه كثير المال في إحدى القرينتين وهي مكة والطائف. قال المفسرون: والذي بمكة هو الوليد بن المغيرة والذي بالطائف هو عروة بن مسعود الثقفي"⁽²⁾. ومن هنا جاء الاستفهام الإنكاري من الله تعالى رداً على قولهم فقال سبحانه: ﴿ أَهْمٌ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ﴾⁽³⁾ فهذا الاستفهام استنكاراً لقولهم وتحقير لرأيهم وتعجب من اعتراضهم على اختيار الله لمن يكون نبياً من خلقه.

فلماذا التعجب من أن يختار الله من يشاء من عباده لحمل الرسالة والتبليغ والله تعالى قد قسم لهم ما هو أدنى من ذلك ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾⁽⁴⁾ فإله سبحانه وتعالى قسم لهم ما هو أدنى من منزلة العقيدة والتوحيد والعبادة وهو أمر معيشتهم لأنهم لا يحسنون تصرفها فكيف يترك لهم تدبير الأمر الذي يترتب عليه فلاحهم وفوزهم بالحياة الدنيا

(1) سورة الزخرف: 31.

(2) الرازي: التفسير الكبير. ج 27 / ص 180.

(3) سورة الزخرف: 32.

(4) سورة الزخرف: 32.

والأخرى ! ولذلك عنى الله بالرحمة تلك الشريعة التي باتباع أحكامها تتحقق الرحمة في المجتمعات ويحصل الفوز بالجنة.

قال الشنقيطي -رحمه الله عند هذه الآية: "يعني أنه تعالى لم يفوض إليهم أمر معاشهم وحظوظهم في الدنيا بل تولى هو جل وعلا قسمة ذلك بينهم فجعل هذا غنياً وهذا فقيراً وهذا رفيعاً وهذا وضيعاً وهذا خادماً وهذا مخدوماً ونحو ذلك. فإذا لم يفوض إليهم حظوظهم في الدنيا!! ولم يحكمهم فيها!! بل كان تعالى هو المتصرف فيها بما شاء كيف شاء فكيف يفوض إليهم أمر إنزال الوحي حتى يتحكموا في من ينزل إليه الوحي؟! فهذا مما لا يعقل ولا يظنه إلا غبي جاهل كالكفار المذكورين"⁽¹⁾.

(1) الشنقيطي: أضواء البيان. ج 7 / ص 112.

المبحث الثالث

التكذيب والعناد

إن قصص الأنبياء عليهم السلام في القرآن الكريم حافلة بالأحداث والمواقف التي وقعت بين كل نبي وقومه وإن المتتبع لهذه القصص ليرى بوضوح أن أقوام الأنبياء عليهم السلام قابلوا دعوتهم بالتكذيب وكان مُنطلقُ تكذيبهم هو العناد والطغيان رغم معرفتهم بحقيقة رسالة أنبيائهم وصدق دعوتهم عليهم السلام - .

لقد جاء في سياق قصة موسى عليه السلام مع فرعون كيف عرض عليهم الآيات البينة الواضحة وكيف كان ردهم عليها بالجحود والتكذيب قال تعالى: ﴿وَحَمَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتَهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾⁽¹⁾ فهم كذبوا بتلك الآيات المبصرة بلسانهم وظاهر حالهم مع قناعتهم في باطنهم أنها حق من عند الله قال ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية: "أي علموا في أنفسهم أنها الحق من عند الله ولكن جحدوا وعاندوها وكابروها ﴿ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ أي: ظلماً من أنفسهم سجية ملعونة، وعلواً أي: استكباراً عن اتباع الحق"⁽²⁾.

فباطنهم يخالف ظاهرهم ففي الباطن تصديق وإيمان وفي الظاهر تكذيب وعناد والسبب تكبر وطغيان وهذا المثال من قصة موسى عليه السلام مع طاغية عصره فرعون وقومه هو ما سلكه كافة الأقوام مع أنبيائهم فلم يأت نبي بدعوة إلا قوبل بالرد والتكذيب قال تعالى: ﴿وَإِنْ يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾⁽³⁾ أي: كذب من قبلهم من الأمم الماضية أنبياءهم رغم أنهم جاؤوهم بالمعجزات الواضحة والدلالات الظاهرة⁽⁴⁾.

(1) سورة النمل: 14.

(2) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم. ج 3 / ص 358.

(3) سورة فاطر: 25.

(4) انظر، الشوكاني: فتح القدير. ج 4 / ص 346.

ولهذا التكذيب أسباب مختلفة عرض لها القرآن الكريم ومن خلال تتبع الباحث للآيات التي تناولت تكذيب الأمم السابقة لأنبيائهم وجد أن ذلك يتلخص في ثلاثة أسباب على النحو الآتي:

أولاً: عدم إرسال الرسل إليهم:

لقد كان هذا السبب هو الذي عرض له كفار قريش عندما دعاهم أهل الكتاب لاتباع دينهم سواء كانوا من الديانة اليهودية أم النصرانية وذلك في أثناء لقاءاتهم بهم في أسفارهم وتجارتهم فاعتذروا عن ذلك بأنهم لم يبعث فيهم رسول ليتبعوه وأقسموا بالله جاهدين لئن جاءهم رسول ليكونن مع رسولهم ومع دعوته أفضل وأحسن من أولئك الأقوام قال تعالى مخبراً عنهم: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِن إِيحَىٰ الْأُمَمِ ۗ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا تَفُورًا ۗ﴾ (٤٤) (1) ففي قسمهم مبالغة شديدة وكان حجة عليهم إذ علموا صدق النبي فكذبوه يقول الإمام الرازي: "فإنهم قبل الرسالة كانوا كافرين بالله وبعدها صاروا كافرين بالله ورسوله ولأنهم قبل الرسالة ما كانوا معذبين كما صاروا بعد الرسالة" (2).

فهذه الآية وما يشبهها من مثل قوله تعالى: ﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۗ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً ۗ﴾ (3) وقوله سبحانه: ﴿أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۗ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۗ﴾ (4) كلها تدل على علمهم بأنه لا بد من نذير أو رسول يبلغهم دعوة الله فعندما يبعث الله لهم رسوله لينذرهم ويذكرهم ينكرون حدوث ذلك مع علمهم بصدق الرسل وصدق ما جاؤوا به وأنه من عند الله ولذلك قال الإمام الرازي في معنى قوله تعالى ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ ۗ﴾ "أي فلما صح لهم مجيؤه بالبينة والمعجزة" (5).

(1) سورة فاطر: 42.

(2) الرازي: التفسير الكبير. ج 26 / ص 30.

(3) سورة الأنعام: 157.

(4) سورة المائدة: 19.

(5) انظر، الرازي: التفسير الكبير. ج 26 / ص 30.

ثانياً: العناد والاستكبار:

من المعلوم أن الكِبْرَ هو أول ما عُصِيَ الله به حيث وقع من الشيطان عليه لعنة الله لما رفض السجود لآدم لقد عَظُمَ في نفسه أن يكون منحنياً لمن هو دونه منزلة ومكانة حسب ظنه - متجاهلاً أنه أمر الله تعالى واجب الطاعة والتنفيذ قال تعالى مخبراً عن قوله: ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّمَّنْ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴾ (1) فالإدراك الضعيف والعقل القاصر والنظرة الدونية كلها دفعت إبليس إلى التكبر على آدم ومعصية أمر الله فاستحق الطرد من رحمته سبحانه إلى يوم الدين قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴾ (2).

وكذلك وقع الكبر من المشركين فدفعهم إلى التكذيب بدعوة الأنبياء عليهم السلام - وكان الكبر منهم على أنبيائهم كالكبر من إبليس على آدم وقد أوضح الله ذلك في كتابه فقال عن تكذيبهم: ﴿ اسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرًا السَّيِّئِ ﴾ (3) فاستكبروا عن اتباع آيات الله ومكروا بالناس في صدهم إياهم عن سبيل الله (4).

ولم يكن الكبر والعناد دافعاً للتكذيب فقط بل تعداه في بعض المواقف إلى الاعتداء وقد وصل إلى حد القتل قال تعالى: ﴿ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ (5) فهذه الآية جاءت في سياق الحديث عن بني إسرائيل "فهو نهاية الذم لهم لأن اليهود من بني إسرائيل كانوا إذا أتاهم الرسول بخلاف ما يهونون كذبوه وإن تهيأ لهم قتله قتلوه وإنما كانوا كذلك لإرادتهم الرفعة في الدنيا وطلبهم لذاتها والترؤس على عامتهم وأخذ أموالهم بغير حق وكانت الرسل تبطل عليهم ذلك فيكذبونهم لأجل ذلك ويوهمون عوامهم

(1) سورة الأعراف: 12.

(2) سورة ص: 78.

(3) سورة فاطر: 43.

(4) انظر، ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج3 / ص563.

(5) سورة البقرة: 87.

كونهم كاذبين ويحتجون في ذلك بالتحريف وسوء التأويل"⁽⁶⁾. فالكبر والعناد صفتان توصلان صاحبهما إلى رفض الحق وتؤدي إلى عمى البصيرة فكأن الكبر يطمس على عين المتكبر فلا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً.

ثالثاً: إتباع الهوى:

يقول السيد قطب رحمه الله -: "محاولة إخضاع الهداة والشرائع للهوى الطارئ والنزوة المتقلبة ظاهرة تبدو كلما فسدت الفطرة وانطمست فيها عدالة المنطق الإنساني ذاته المنطق الذي يقتضي أن ترجع الشريعة إلى مصدر ثابت غير المصدر الإنساني المتقلب مصدر لا يميل مع الهوى ولا تغلبه النزوة. وأن يرجع الناس إلى ذلك الميزان الثابت الذي لا يتأرجح مع الرضا والغضب والصحة والمرض والنزوة والهوى لا أن يُخضعوا الميزان ذاته للنزوة والهوى"⁽¹⁾. فالهوى: "ميل الطبع إلى ما يلائمه"⁽²⁾ أو "ميل الطبع لشهوة النفس"⁽³⁾.

فعادة الطغاة والمترفين أن يكذبوا دعوات الإصلاح الصادقة لأنها تهدد وجودهم وحياتهم المبنية على الترف والنعيم بلا حدود أو قيود فلا يناسبهم أن يكون في حياتهم ما هو ممنوع أو ما هو مسموح بل رغبتهم أن يميلوا إلى ما تهواه نفوسهم فعندما تأتي هذه الدعوة لتحد من شهوتهم أو تقف في وجه طغيانهم يواجهونها بالتكذيب والرفض.

ولقد أوضح الله سبحانه وتعالى أن المكذبين واجهوا عاقبتهم فإله لا يتركهم يفلتون من عقابه بعد أن أقام عليهم الحجة وأوضح لهم طريق الحق والخير قال تعالى: ﴿كَذَّبِ آلِ

(6) انظر: الرازي: التفسير الكبير. ج 3 / ص 162.

(1) قطب: في ظلال القرآن. ج 1 / ص 89.

(2) ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن: ذم الهوى. ج 1 / ص 12. تحقيق مصطفى عبد الواحد.

(3) السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار: تفسير القرآن. ج 3 / ص 98. ط 1. تحقيق ياسر بن إبراهيم

وغنيم بن عباس بن غنيم. الرياض: دار الوطن. 1418هـ 1997م.

فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَآخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١١﴾ (1) فَمَنْ دَابَّ دَابَّهُمْ
وسار على طريقهم لحقه عقاب الله وعذابه والله تعالى بالمرصاد فعلى كل عاقل ذو بصيرة
أن يدرك حقيقة ما أعده الله للمكذبين والمعاندين وأن يتفكر في أحوال الأمم التي سبقت وكيف
كان حالها وما حلَّ بها ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
وَالَّذِينَ آمَنُوا بِهَا﴾ (2) ففي الآية إخبار بتدمير تلك الأمم المكذبة ووعيد بعقوبة مماثلة لمن سار
على دربهم ولم يتعظ بما نزل بهم.

إن تكذيب الدعوات ليس أمراً محدثاً ولن يكون منتهياً ما دامت السماوات والأرض
لأن صراع الحق والباطل قائم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ولذلك لما حزن الرسول -
صلى الله عليه وسلم - لتكذيب قومه، سلّاه ربه بخبر من قبله من الأنبياء فقال: ﴿وَلَنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ
كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ (3)، ولقد علق الإمام الألويسي على هذه الآية بأنها
"تسليية له - عليه الصلاة والسلام - بعموم البلية، والوعد له - صلى الله عليه وسلم - والوعيد
لأعدائه، والمعنى: وإن استمروا على أن يكذبوك فيما بلغت إليهم من الحق المبين، بعد ما أقمت
عليهم الحجة وألقتهم الحجر، فتأس بأولئك الرسل في الصبر فقد كذبهم قومهم وصبروا" (4).

فمن هنا منطلق عظيم يربينا عليه صاحب الجلال سبحانه أن طريق الأنبياء - عليهم
السلام - ليس طريقاً للدعة والراحة والمتع الدنيوية بل هو صعب وشاق يلاقي فيه أصحابه
صنوف الأذى من القول والفعل فالواجب عليهم أن يتحلوا بالصبر والثبات فخير البشر صبروا
فنالوا جزاء صبرهم قال تعالى لنبيه - صلى الله عليه وسلم - : ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ
فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَنْتَهُمْ نَصْرًا وَلَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَائِ الْمُرْسَلِينَ﴾ (5)
فالمَنَعَةُ لأصحاب الحق قائمة، والنصر لهم قادمٌ لا محالة، فهو وعد الله الذي لا يخلف الميعاد،

(1) سورة آل عمران: 11.

(2) سورة محمد: 10.

(3) سورة فاطر: 4.

(4) انظر: الألويسي: روح المعاني. ج 22 / ص 167.

(5) سورة الأنعام: 34.

يقول ابن كثير: "هذه تسلية للنبي - صلى الله عليه وسلم -، وتعزية له فيمن كذبه من قومه، وأمر له بالصبر كما صبر أولو العزم من الرسل، ووعد له بالنصر كما نصرُوا، وبالظفر حتى كانت لهم العاقبة، بعد ما نالهم من التكذيب من قومهم والأذى البليغ، ثم جاءهم النصر في الدنيا، كما لهم النصر في الآخرة"⁽¹⁾.

(1) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم. ج 2 / ص 131.

الفصل السادس

حكمة بشرية الأنبياء - عليهم السلام -

المبحث الأول: التكريم والإنعام الإلهي.

المبحث الثاني: التيسير على الناس.

المبحث الثالث: القدرة على القيادة والتوجيه.

المبحث الرابع: القدوة الحسنة.

مدخل:

إن اختيار الأنبياء والرسل عليهم السلام من البشر له حِكْمٌ عظيمة، وأسرار بديعة، ولطائف كثيرة، ولو أراد أحد أن يستقصى هذه الحِكْمَ ويحصر هذه اللطائف والأسرار؛ ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، ولكني أجمل هذه الحِكْمَ أو أهمها في مباحث أربعة على النحو التالي:

المبحث الأول

التكريم والإنعام الإلهي

من أعظم النعم التي أنعمها الله سبحانه على بني البشر أن يختار منهم ويصطفى من بينهم من يحمل رسالة السماء ويضع على كاهله تبليغ أمانة الله التي ناءت عن حملها السماوات والأرض والجبال قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (٧٥) (1) ومدلول كلمة الاصطفاء يدل على التكريم والإنعام فالاصطفاء من "الصفو والصفاء وصفوة كل شيء خالصة والاصطفاء الاختيار افتعال من الصفوة ومنه: النبي - صلى الله عليه وسلم - صفوة الله من خلقه ومصطفاه والأنبياء المصطفون وهم من المصطفين إذا اختيروا وهم المصطفون إذا اختاروا" (2).

والاختيار من الله سبحانه وتعالى يدل على كرامة من اختاره وعظم النعمة بهذا الاختيار يقول الإمام الشعراوي: "الاصطفاء اختيار نخبة من كثير واختيار القليل من الكثير دليل على أنها الخلاصة والصفوة كما يختلف الاصطفاء باختلاف المصطفى المصطفى هو الله تعالى فلا بد أن يختار خلاصة الخلاصة" (3).

فَخَالِصَةُ الْخَالِصَةِ من بني البشر هم الأنبياء - عليهم السلام - فهم صفوة الله من خلقه وهم أفضل الجنس البشري وهذا من أعظم التكريم الإلهي لهم فبالرغم من أنهم "عباد من عباد الله وخلق من خلقه اصطفاهم الله وأكرمهم ومنحهم ما منحهم من قوى وآيات" (4) ليكونوا شهداءه في أرضه أمناء على رسالته مبلغون شرائعه.

(1) سورة الحج: 75.

(2) ابن منظور: لسان العرب. ج14 / ص462 463. مادة (صفا).

(3) الشعراوي، محمد متولي: تفسير الشعراوي - الخواطر. ج16 / ص9939. القاهرة: مطابع أخبار اليوم. 1997م.

(4) الخطيب، عبد الكريم يونس: التفسير القرآني للقرآن. ج17 / ص1101. القاهرة: دار الفكر العربي.

وقد وصف الله سبحانه أنبياءه - عليهم السلام - بالمصطفين الأخيار بعد أن ذكر جملة منهم قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفِينَ الْأَخْيَارِ ﴾ (1) فوصفهم الله سبحانه في هذه الآية بوصفين الأول: المصطفين والثاني: الأخيار ولاشك أنهما وصفان متغايران في المعنى فالأول بمعنى: "المختارين المجتبيين" (2) والثاني بمعنى: "جمع خيرٍ بالتشديد" (3).

ثم إن الله تعالى قد تجلى بهذه النعمة على أنبيائه وعلى البشر جميعا باصطفاء رسله فقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ (4) والمراد من هذا الاصطفاء اختيارهم بالنبوة (5) ومن هذه الآية نستنتج أن "الاصطفاء أعم من المحبة والخلة فيشمل الأنبياء كلهم وتتفاضل فيه مراتبهم" (6) وقد أكد الله على ذلك الاصطفاء بأداة التوكيد (إنَّ) ثم ذكر اسمه بعدها ليوضح أن الأمر خاص به سبحانه فهو صاحب الكرم والإنعام بهذا الاصطفاء وهذا شرف كبير لجنس البشر جميعاً أن جعل منهم الأنبياء الذين يحملون دعوته ويبلغون رسالته.

(1) سورة ص: 47.

(2) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم. ج 4 / ص 41.

(3) السيوطي: تفسير الجلالين. ج 1 / ص 603.

(4) سورة آل عمران: 33.

(5) ابن حجر: فتح القدير. ج 1 / ص 333.

(6) الألوسي: روح المعاني. ج 3 / ص 143.

المبحث الثاني

التيسير على الناس في العلم والبيان

إن من أجل مهام الأنبياء -عليهم السلام - تبليغ رسالة الله للناس بأسلوب سهل ميسور تستطيع العقول إدراكها وبذلك تصبح هذه الرسالة حجة عليهم في الدنيا والآخرة. وقد استخدم الأنبياء - عليهم السلام - أساليب متنوعة ووسائل متعددة في ذلك ليبسروا على الناس فهم وإدراك حقيقة رسالات الله تعالى ومضامينها.

وقد بين القرآن الكريم في آيات عديدة كيف كانت الطبيعة البشرية للأنبياء - عليهم السلام - وسيلة مهمة في إيصال الرسالة بأيسر طريق وأوضح بيان من ذلك:

1 - قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (٤) (1) إن هذه الحقيقة القرآنية لها ناصعة الوضوح في مدى التيسير الرباني على الناس في فهمهم لرسالته عن طريق أنبيائه ورساله - عليهم السلام -. قال ابن كثير عند هذه الآية: "هذا من لطفه تعالى بخلقه أنه يرسل إليهم رسلاً منهم بلغاتهم ليفهموا عنهم ما يريدون وما أرسلوا به إليهم كما روى الإمام أحمد عن أبي ذر قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ((لم يبعث الله عز وجل نبياً إلا بلغه قومه)) (2) (3).

وقد أوضح الإمام الطبري رحمه الله أن الحجة تقام على الأمة بعد هذا البيان والإيضاح من الرسل بلغات قومهم فقال عند قوله تعالى ﴿ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾: "ليفهمهم ما أرسله الله به إليهم من أمره ونهيه ليثبت حجة الله عليهم" (4).

(1) سورة إبراهيم: 4.

(2) ابن حنبل: مسند الإمام أحمد. ج 5 / ص 158. قال الألباني: صحيح. انظر، الألباني: سلسلة الأحاديث الصحيحة. ج 7 / ص 1520. رقم: (3561).

(3) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم. ج 2 / ص 523.

(4) الطبري: جامع البيان. ج 13 / ص 181.

2- قوله تعالى مخاطباً نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (1) فكانت حكمة إنزال الكتاب على رسولنا الأكرم صلى الله عليه وسلم بعد إقامة الحجة هي "أن يبين للناس ما نزل إليهم في هذا الكتاب من الأوامر والنواهي والوعد والوعيد" (2) وقد أوضحت سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم كيف كان يبين للناس هذا الكتاب الكريم بأسلوب سهل ميسور ليتسنى لهم فهمه وتطبيق ما فيه من الهدى والبيان.

3- قوله تبارك وتعالى فيما نسب إلى نفسه العليّة بيان وإيضاح القرآن الكريم: ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيِّنَاتٍ ﴾ (3) والمعنى: "أي بعد حفظه وتلاوته نبينه لك ونوضحه ونلهمك معناه على ما أردنا وشرعنا" (4) وقد بيّن الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ثم إنه عليه الصلاة والسلام بيّن للناس أحكام القرآن وشرائعه.

4- قوله سبحانه في وصف القرآن الكريم: ﴿ وَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ (5) فالتييسير والوضوح سمة هذا القرآن الكريم بل كل رسالات السماء سمتها تلك السمة ووظيفة الأنبياء - عليهم السلام - هو إبراز هذا الجانب بعرض تلك الرسالات والدعوات بأيسر أسلوب وأسهله.

لقد ساهم كثيراً كون الأنبياء - عليهم السلام - من البشر في إبراز الرسالات السماوية بأيسر أسلوب وأسهل عبارة وذلك لأن الجانب البشري بين الأنبياء - عليهم السلام - وبين باقي البشر متحد قد تختلف الأفهام وتتمايز العقول لكن الطبيعة البشرية واحدة ومنسوب التلاقي البشري في الفهم والإدراك قريب جداً.

(1) سورة النحل: 44.

(2) الشنقيطي: أضواء البيان. ج 2 / ص 380.

(3) سورة القيامة: 19.

(4) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم. ج 4/ ص 450.

(5) سورة القمر: 17.

وقد أوضح الحق تبارك وتعالى أنه لو أرسل إلى الناس رسولاً من الملائكة لجعله على هيئة البشر تيسيراً على الناس في فهم رسالته وليكون ذلك أدهى لاستيعابهم بيد أن هذه الرسالة ومضامينها. قال تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ﴾ (1) والمعنى: "لو بعثنا إلى البشر رسولا ملكياً لكان على هيئة الرجل لتمكنهم مخاطبته والانتفاع بالأخذ عنه لأنهم لا يستطيعون النظر إلى الملائكة من شدة النور ولو كان كذلك لالتبس عليهم الأمر كما هم يلبسون على أنفسهم في قبول رسالة الرسول البشري" (2).

(1) سورة الأنعام: 9.

(2) الشنقيطي: أضواء البيان. ج 1 / ص 472.

المبحث الثالث

القدرة على القيادة والتوجيه

إن قيادة البشر وتوجيههم يتطلب وجود عناصر رئيسية لهذه المهمة الشاقة وهي:

* أولاً: أن يكون ذا طبيعة بشرية يمارس مهام البشر ويعتره ما يعترهم وبذلك تنساق له القلوب والعقول إذ لو كان ذو طبيعة ملائكية أو جنية لاستحال وجود التناسق والتناغم بينهم قال تعالى: ﴿ قُلْ لَوْ كُنَّا فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةً يَمشُوكَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكَاتًا رَسُولًا ﴿٩٥﴾ (1) فلو كان على الأرض جنس الملائكة وأراد الله أن يبعث إليهم رسولاً لكان "الأولى أن يبعث إليهم من كان من جنسهم ليكون سكونهم إليه أكمل والفهم به أقوى" (2).

* ثانياً: أن يكون صاحب شخصية صالحة للقيادة من حيث قوة الشخصية والإبداع في التعامل معهم والتحلي بالأخلاق والحكمة في اتخاذ القرارات.

* ثالثاً: أن يكون القائد في نفسه قدوة وأسوة.

وعليه فإن البشر هم أقدر من غيرهم سواء كانوا ملائكة أم جنناً على القيادة والتوجيه لذلك كان الأنبياء - عليهم السلام - من البشر كونهم يشعرون بشعور إخوانهم ويعرفون وجدانهم ويدركون آلامهم فيشاركونهم هذه الآلام والأمال والأحزان والأفراح وهذه مهمّة في القدرة على القيادة والتوجيه. يقول سيد قطب رحمه الله: "هي حكمة الله البالغة أن جعل الرسول بشراً ليؤدي دوره على قيادة البشر والاعتراض على بشرية الرسول جهل بهذه الحكمة فوق ما فيه من جهل بتكريم الله للإنسان" (3).

(1) سورة الإسراء: 95.

(2) الرازي: التفسير الكبير. ج 17 / ص 6.

(3) قطب: في ظلال القرآن. ج 5 / ص 2553.

ولما كانت القيادة هي القدرة على التأثير بالآخرين وتوجيههم نحو السلوك الأفضل والمنهج الأمثل والعقيدة السليمة والأخلاق الفاضلة وهذه لا يمكن أن تكون إلا إذا كانت القيادة بشرية بامتياز لأن المقصود من توجيههم من البشر. والمتتبع لسيرة الأنبياء عليهم السلام في القرآن الكريم؛ يصل إلى حقيقة القدرة الفائقة للأنبياء عليهم السلام على قيادة أممهم وشعوبهم ويلاحظ استخدامهم لكل الوسائل والسبل المتاحة لتوجيههم إلى بر الأمان والوصول بهم إلى شاطئ السلامة.

فهذا نبي الله نوح - عليه السلام - مكث في قومه ﴿أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ (1) يدعوهم ويوجههم ويرشدهم وينذرهم ويبيشرهم ويدلهم على كل سبيل من شأنه أن ينقذهم من النار وسورة نوح - عليه السلام - خير شاهد على الآليات والوسائل التي استخدمها نوح - عليه السلام - في قومه قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْوَعًا ﴿٧﴾ وَأَصْرُوا وَأَسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾﴾ (2) ولما أذن الله له بالخروج مع من آمن من قومه في السفينة كان ربانها وقائدها مع أن الله قد وصف حالها في القرآن بقوله: ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ الْأَوْجِ وَدُسِّرَ ﴿١٣﴾﴾ (3) وكانت تجري بهم في بحر لحي ومياه تصل إلى قمم الجبال وهذا من الحنكة والقدرة على القيادة في أحلك الظروف وأصعبها.

ومن بعد نوح نتابع موسى - عليه السلام - وهو يسمع تهديد الطاغية فرعون بعد أن أذله الله بإحراق الحق وإبطال الباطل: ﴿لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِمَّنْ خَلْفٍ ثُمَّ لَأُسَبِّحَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤﴾﴾ فيتوجه موسى - عليه السلام - ببث روح الثبات والصبر في نفوس قومه: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۗ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾﴾ (5) فلما

(1) سورة العنكبوت: 14.

(2) سورة نوح: 5 - 10.

(3) سورة القمر: 13.

(4) سورة الأعراف: 124.

(5) سورة الأعراف: 128.

استنفر فرعون وجنوده ولحقوا بموسى - عليه السلام - وقومه الذين لم يجدوا أمامهم سوى البحر فوقوا حائرين مبهمين لا مفر لهم ولا مهرب فالبحر من أمامهم وفرعون بجنوده من خلفهم فأجمعوا على كلمة واحدة: ﴿إِنَّا لَمَدْرُكُونَ﴾ (1) فتأتى روح القائد المحنك القادر بأمر الله على إدارة الأزمات بالثبات والتوكل على الله فيهدف موسى: ﴿كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ (2) فكان التوجيه من الله بضرب البحر ليكون طريقاً ييساً ويتحقق النصر والفرج مع تلك القيادة والتوجيهات التي وجدت لدى نبي الله موسى - عليه السلام - .

ولنا في سيرة نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - شواهد كثيرة ومواقف عظيمة تدل على براعته وحنكته بالقيادة والتوجيه فبصرف النظر عن قيادته لأمته بما يحقق لها السعادة بالآخرة؛ إلا أنه قادها لما حقق لها الرفعة والمكانة في الدنيا فهي في معركة بدر الكبرى معركة الفرقان كما سماها الله في كتابه: ﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ (3) تتجلى لديه أعلى مراتب القيادة في مشاركته الرأي لأصحابه "فاستشار الناس وأخبرهم عن قريش فقام أبو بكر الصديق فقال وأحسن ثم قام عمر بين الخطاب فقال وأحسن" (4) ومن بعدهما تحدث المقداد بن عمرو وعن الأنصار تحدث سعد بن معاذ وذلك أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - قد خرج يريد العير وما عليها من أموال قريش حتى نجت القافلة وكان اللقاء بانتظارهم.

إن الأنبياء - عليهم السلام - بطبيعتهم البشرية استطاعوا أن يصلوا إلى مستوى الريادة والقيادة فساسوا أقوامهم ووجهوهم لما يحقق لهم الفوز بالجنة والنجاة من النار .

(1) سورة الشعراء: 61.

(2) سورة الشعراء: 62.

(3) سورة الأنفال: 41.

(4) ابن كثير: البداية والنهاية. ج 5 / ص 69.

المبحث الرابع

القدوة الحسنة

إن الكينونة الإنسانية والطبيعة البشرية للأنبياء - عليهم السلام - جعلت منهم نماذج يمكن لبني البشر أن يتأسوا بهم ويتخذوهم قدوة يحتذى بها ولو كان الأنبياء - عليهم السلام - من غير جنس البشر من الملائكة مثلاً لما استطاع باقي البشر أن يتخذوهم قدوة أو نموذجاً ليهتدوا بهم ويحتذوا حذوهم لأن الطبيعة البشرية للإنسان لا يمكن لها مهما علت في سلم التدرج الإيماني والروحي أن تصل إلى طبيعة الملائكة أو تتأسى بهم قال تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبُسُونَ﴾ (٩) (1) أي: "لو بعثنا إلى البشر رسولا ملكيا لكان على هيئة الرجل ليمكنهم مخاطبته والانتفاع بالأخذ عنه" (2) "ولأنهم لا يستطيعون النظر إلى الملائكة من شدة النور" (3) ولأن كل جنس يأنس بجنسه وينفر من غير جنسه فلو جعل الله الرسول إلى البشر ملكاً لنفروا من مقارنته ولما أنسوا به يقول عليه الصلاة والسلام وهو يحدد الطبيعة لكل من الأجناس الثلاثة الملائكة والبشر والجن قال: ((خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ)) (4) فطبيعة أصل الخلقة للإنسان من طين وتراب ثم التدرج إلى أن تكون من ماء لا يمكن لها أن تصل إلى درجة النورانية أو إلى مستواها مع أن أصل الخلقة للملائكة لم تتدرج مثل الإنسان وعليه فإن الطبيعة البشرية لا تصل إلى مبتغاها في اتخاذ الملائكة نماذج يحتذى بها.

ثم لو كان الأنبياء عليهم السلام من الملائكة لاحتج البشر على هذا القدر وكان دافعاً لهم على التسيب والانفلات وعدم الانضباط بضوابط رسالات السماء وبالسلوكيات والأخلاقيات الفاضلة لأنه لا قدرة لهم على اتخاذ الملائكة قدوة يتأسى بها.

(1) سورة الأنعام: 9.

(2) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم. ج 2 / ص 125.

(3) الشنقيطي: أضواء البيان. ج 1 / ص 472.

(4) مسلم: صحيح مسلم. ج 4 / ص 2294. كتاب الزهد والرقائق. باب في أحاديث متفرقة. رقم الحديث (2996).

من هنا كانت رحمة الله في بني البشر أن يجعل الأنبياء - عليهم السلام - من حيث طبيعة البشر يأكلون كما يأكل البشر ويشربون ويتزوجون كما في البشر ويعملون ويكدون ويبكون ويمرضون كما مر معنا من خلال هذه الدراسة في الفصول السابقة ولكن الله وضع فيهم المؤهلات الأخلاقية والإيمانية والسلوكية والنفسية والروحية وكل شيء فاضل حتى يكونوا قدوة حسنة ونماذج إيمانية تصلح لأن يحتذى بها ويتأسى بأفعالها.

وبذلك تتقطع حجج المبطلين الذين لا يريدون انضباطاً في فطرتهم وإيمانهم وسلوكهم من خلال وجود هذه القدوة في الأنبياء - عليهم السلام - قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (1) يقول ابن كثير: "هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسى برسول الله - صلى الله عليه وسلم - في أقواله وأفعاله وأحواله ولهذا أمر تبارك وتعالى الناس بالتأسى بالنبي - صلى الله عليه وسلم - يوم الأحزاب في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته" (2).

فالناس بمقدورهم اتخاذ الرسول - صلى الله عليه وسلم - قدوة حسنة ونموذجاً طيباً في أحلك الظروف وأشد الملمات وهذه الآية تأتي في سياق ما أصاب المسلمين من بلاء وضر وتضجر مما حل بهم يوم الأحزاب حتى وصف الله نفسياتهم بقوله: ﴿وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا﴾ (3) جاءت هذه الآية تسليية لهم وأنه بمقدورهم التأسى برسول الله صلى الله عليه وسلم في صبره ومصابرته وجهاده وتحمله الأذى وهو بشر مثلكم يصيبه ما يصيبكم ويتأذى مما تتأذون منه ومع ذلك يصبر ويتحمل.

وفي موضع آخر من القرآن الكريم جعل الله الأنبياء - عليهم السلام - وعملهم قدوة لبعضهم البعض بل ولباقي الناس قال الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أُمَّتُهُمْ﴾ (4)

(1) سورة الأحزاب: 21.

(2) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم. ج3 / ص475.

(3) سورة الأحزاب: 10.

(4) سورة الأنعام: 90.

فهذا الخطاب في الآية للرسول عليه الصلاة والسلام "وإذا كان أمراً للرسول - صلى الله عليه وسلم - فأتمته تبع له فيما يشرعه ويأمرهم به"⁽¹⁾ والمعنى: "فبالعمل الذي عملوا والمنهاج الذي سلكوا وبالهدى الذي هديناهم والتوفيق الذي وفقناهم اقتده يا محمد أي فاعمل وخذ به واسلكه"⁽²⁾.

وهذه الآية واضحة الدلالة في أن البشر لا استقرار لهم ولا هداية ولا منهج صحيح إلا بوجود القدوة الحقة التي تكون فاضلة في نفسها مهتدية في ذاتها هادية غيرها وهذا لم يتحقق في تاريخ البشرية إلا بالأنبياء - عليهم السلام - وإذا كان خاتم الأنبياء - عليهم السلام - مأمور بالاهتداء بهدي من سبقه منهم فإن الناس من باب أولى بمقدورهم أن يتخذوا الأنبياء - عليهم السلام - والذين هم من بني البشر قدوة حسنة.

إن منهج الإسلام لا يمكن أن يسير إلى الأمام إلا بوجود بشر تحمله وتترجمه بسلوكهم وتصرفاتهم فتحوله إلى واقع عملي محسوس وملموس ولذا بعث الله محمداً - صلى الله عليه وسلم - بعد أن وضع في شخصيته البشرية الصورة الكاملة للمنهج ليترجمها ويكون خير قدوة لذلك يقول الأستاذ سيد قطب: "وهم من جانبهم يجدون فيه أي الرسول عليه الصلاة والسلام القدوة الممكنة الاتباع لأنه بشر منهم يتسامى بهم رويدا رويدا ويعيش فيهم بالأخلاق والأعمال والتكاليف التي يبلغهم أن الله قد فرضها عليهم وأرادها منهم فيكون هو بشخصه ترجمة حية للعقيدة التي يحملها إليهم. وتكون حياته وحركاته وأعماله صفحة معروضة لهم ينقلونها سطرًا سطرًا ويحققونها معنى معنى وهم يرونها بينهم فتتهفوا نفوسهم إلى تقليدها لأنها ممثلة في إنسان ولو كان ملكاً ما فكروا في عمله ولا حاولوا أن يقلدوه لأنهم منذ البدء يشعرون أن طبيعته غير طبيعتهم فلا جرم يكون سلوكه غير سلوكهم على غير أمل في محاكاته ولا شوق إلى تحقيق صورته"⁽³⁾.

(1) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم. ج 2 / ص 156.

(2) الطبري: جامع البيان. ج 7 / ص 265.

(3) قطب: في ظلال القرآن. ج 5 / ص 2553. بتصرف يسير.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين

وبعد:

نتائج البحث وتوصياته:

1. شاء الله تعالى أن يكون الأنبياء والمرسلون - عليهم السلام - من البشر.
 2. عَقَدَ الكثير من الكفار متمثلة في اختيار الله تعالى الأنبياء - عليهم السلام - من البشر.
 3. الحكمة البالغة والحجة الدامغة في أن يكون الأنبياء - عليهم السلام - من البشر كي يكونوا أقدر على إيصال رسالة السماء إلى الناس وأدعى إلى قيادتهم وتوجيههم مما لو كانوا من غير البشر وحتى يكونوا قدوة حسنة يستطيع الناس أن يتأسوا بهم ويقتفوا آثارهم.
 4. عندما جعل الله الأنبياء - عليهم السلام - من البشر جعلهم من خلاصة الجنس البشري فهم والحال كذلك أظهر الناس وأزكاهم وأكمل الناس خَلْقَةً وَخُلُقًا وأتمهم نسباً وعقلاً.
 5. تعرض الأنبياء - عليهم السلام - لكثير من العوارض كالخوف والنسيان والغضب وباقي العوارض البشرية لا يقدر بنبوتهم ولا ينتقص من مكانتهم.
- لا يزال الأنبياء عليهم السلام - معرضين منذ القدم للطعن والتشكيك، وإثارة الشبهات حولهم، واتخاذ الكثير من العوارض البشرية ذريعة لذلك، وفي هذه الدراسة المتواضعة حاولت إظهار كذب هذه المزاعم وتقنيدها، معتمداً على ما ورد في القرآن الكريم من آيات تظهر ذلك، متطرقاً إلى بعض الأنبياء عليهم السلام وظروف حياتهم التي مروا بها، واستخلاص أن ذلك لم يخرج عن إطار بشريتهم، ولم يتعارض من اختيار الله لهم كأنبيا، ويمكن أن تكون هذه الدراسة المتواضعة نقطة انطلاق لدراسات أخرى أشمل وأعمق في تناول هذه الجوانب.

مسرد الآيات

الصفحة	رقم الآية	السورة	جزء الآية
58	30	البقرة	وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً.....
58	34	البقرة	وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ.....
113	87	البقرة	أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ.....
89	155	البقرة	وَلَنْبَلُونَكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ.....
89	182	البقرة	فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا.....
25 23	247	البقرة	وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا.....
71	258	البقرة	أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ إِبراهيمَ فِي رَبِّهٖ.....
115	11	آل عمران	كَذَابَ آلِ فرعونَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ.....
117	33	آل عمران	إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا.....
27	49	آل عمران	وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ.....
29	79	آل عمران	مَا كَانَ لِشَرِّ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ.....
67	81	آل عمران	وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ آمَنُوا لَمَّا آتَيْنَاكُمْ مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ.....
77	101	آل عمران	وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَد هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.....
81	31	النساء	إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نَكْفَرْ عَنْكُمْ سِئَاتِكُمْ.....
89	128	النساء	وَإِن أَمْرًا خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا.....
78	146	النساء	إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ.....
53 32	163	النساء	وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زُبُورًا.....
2	164	النساء	وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى.....
3	165	النساء	رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ.....

28	17	المائدة	قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا
112	19	المائدة	أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ
77	67	المائدة	وَاللَّهُ يَعصِمُكَ مِنَ النَّاسِ
86	67	المائدة	يَأْتِيهَا الرُّسُولُ يَلْعَبُ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ
28	72	المائدة	يَنْبَغِي إِسْرَءِيلَ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ
26	73	المائدة	لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثُ ثُلَاثٍ كَثِيرٌ
28	75	المائدة	مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ...
29	116- 117	المائدة	وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْجِبَنِي ابْنُ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي
26	72 17	المائدة	لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ
106 122 1 26	9	الأنعام	وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا
101	10	الأنعام	وَلَقَدْ أَسْنَهَيْتُ رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ
115	34	الأنعام	وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كَذَّبُوا ...
1	48	الأنعام	وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ
1	49	الأنعام	وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ
127 63	90	الأنعام	أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدْهُمْ أقتَدِهِ ...
14	130	الأنعام	يَمَعَشِرَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ
112	157	الأنعام	أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ
72	79- 74	الأنعام	وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ عَازِرَ اتَّخِذْ أَصْنَامًا ءَالِهَةً
113	12	الأعراف	قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ
65	23	الأعراف	قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا

33	60	الأعراف	قَالَ الْمَلَأُ إِنَّا لَمَنَّكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ
33	61	الأعراف	قَالَ يَنْقُورٍ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ
68 33	62	الأعراف	أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ
68	68	الأعراف	أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ
68	79	الأعراف	فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَنْقُورٍ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي
124	124	الأعراف	لَأَقْطِعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ
124	128	الأعراف	قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا
2	143	الأعراف	وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ، قَالَ رَبِّ أَرِنِي إِلَيْكَ
24	148	الأعراف	وَأَتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ خَلْقِهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ
16	188	الأعراف	قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ
104	199	الأعراف	خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ
125	41	الأنفال	يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّلَاقِ الْجَمْعَانِ
85 17	68- 67	الأنفال	مَا كَانَتْ لِي نَبِيٌّ أَنْ يُكَونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُخْرَجَ فِي الْأَرْضِ
78 17	43	التوبة	عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ
49	105	التوبة	وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسِيرَى اللَّهِ عَمَلِكُمْ وَرَسُولِهِ، وَالْمُؤْمِنُونَ
69	128	التوبة	لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ
102	66- 65	التوبة	وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ
51 34	36	هود	وَأَوْحَى إِلَيْ نُوْحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ
51 34	37	هود	وَأَصْنَعُ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا
35	39 - 38	هود	وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ
51	40	هود	حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ

78	43	هود	قَالَ سَتَأْتِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ.....
84 18	45	هود	وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ، فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي.....
84	46	هود	قَالَ يَنْحُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ.....
84	47	هود	قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَشْتَكَّ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ.....
107	53	هود	قَالُوا يَا هُوْدُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ.....
107	62	هود	قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا.....
108	62	هود	أَنْهَيْتَنَا أَنْ تَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا.....
101	67	هود	وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ.....
64	75	هود	لِحَلِيمٍ أَوْهُ مُنِيبٌ.....
43	8	يوسف	إِذْ قَالُوا لْيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ عُصْبَةٌ.....
43	9	يوسف	أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا.....
43	10	يوسف	قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ.....
44	12	يوسف	أَرْسَلَهُ مَعَا غَدَا يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ.....
44	14 - 13	يوسف	قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ.....
45	20 - 19	يوسف	وَأَرَادَهُمْ فَأَدْخَلَ دُلُوكَ، قَالَ يَبْشُرِي هَذَا عِلْمٌ.....
46 45	23	يوسف	وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ.....
41	24	يوسف	إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ.....
59 12	31	يوسف	فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ.....
78 46	32	يوسف	قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَنِي فِيهِ.....
46	33	يوسف	قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ.....
47	90	يوسف	إِنَّهُ، مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ.....

46	29 - 25	يوسف	وَأَسْتَبَقَا الْآبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ
65	98- 97	يوسف	قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا
78	32	الرعد	وَلَقَدْ أَسْتَهْزَيْتَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ
17	38	الرعد	وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً
120	4	إبراهيم	وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ
16	11	إبراهيم	قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ
70	2	النحل	مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ
105	36	النحل	وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ ط
121	44	النحل	وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ
66	121- 120	النحل	إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا
66	3	الإسراء	ذُرِّيَّةً مِّن حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ شَكُورًا
53 3	55	الإسراء	وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ ط
58	62	الإسراء	قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ
58	70	الإسراء	وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ
15	94	الإسراء	وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ
123	95	الإسراء	قُل لَّو كَانَتْ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ
88 17	61	الكهف	نَسِيًا حَوْتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا
89	70	الكهف	قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا
89	73	الكهف	قَالَ لَا تَأْخُذْ بَمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا
85 12	110	الكهف	قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ
67	14	مريم	وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا

11	26	مريم	فَأَمَّا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ
67	32	مريم	وَبَرًّا بَوْلِدِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا
65	54	مريم	وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ
68 36	47 - 41	مريم	وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا
92	59- 58	طه	فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ
92	66	طه	فَإِذَا جَاءَهُمْ وَعَصِيهِمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى
92	67	طه	فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى
19	88	طه	فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ
24	88	طه	فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ
87	115	طه	وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسَىٰ وَلَمْ نُجِدْ لَهُ عَزْمًا
88	115	طه	وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسَىٰ
88	115	طه	وَلَمْ نُجِدْ لَهُ عَزْمًا
81	115	طه	فَنَسَىٰ وَلَمْ نُجِدْ لَهُ عَزْمًا
81	121	طه	فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَّتَ لَهَا سَوْءُ نَهْمًا
81	122	طه	ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ
91	13 - 11	طه	فَلَمَّا أَنهَا تُورِي يَمُوسَىٰ
83	112 - 116	طه	وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ ...
19 16 25 21	8	الأنبياء	وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا آلَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ
105	25	الأنبياء	وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ
37	57	الأنبياء	وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَفَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مَدِينِينَ

37	58	الأنبياء	فَجَعَلَهُمْ جُودًا إِلَّا كِبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ
37	63	الأنبياء	قَالَ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسَأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ
38	65	الأنبياء	لَقَدْ عَلِمْتَمَا هَتُورًا يَنْطِقُونَ
38	68	الأنبياء	حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلَ الْهَتَكُم
38	69	الأنبياء	قُلْنَا يَنْتَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبرَاهِيمَ
48 17	83	الأنبياء	وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ ط
48	84	الأنبياء	فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرِّ ط
65	87	الأنبياء	وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ ط
67	90	الأنبياء	إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ ط
63	107	الأنبياء	وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ
3	75	الحج	مِنَ الْمَلَكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ط
70	75	الحج	يُنزِلُ الْمَلَكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ ط
70	75	الحج	يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ
70	75	الحج	مِنَ الْمَلَكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ط
118	24	المؤمنون	فَقَالَ الْمَلَأُو الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا ط
106	24	المؤمنون	وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولِينَ
106	34	المؤمنون	وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشْرًا مِثْلَكُمُ إِنَّكُمْ إِذًا لَخٰسِرُونَ
11	47	المؤمنون	أَنْتُمْ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا
106	34- 33	المؤمنون	مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ ط
103	54	النور	وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلٰغُ الْمُبِينُ
18	7	الفرقان	وَقَالُوا مَا لَ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ ط

21	7	الفرقان	مَا لِي هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ
12	54	الفرقان	وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا
22	8-7	الفرقان	مَا لِي هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي ^ط
125	61	الشعراء	إِنَّا لَمُدْرِكُونَ
125	62	الشعراء	كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ
34	116	الشعراء	قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنْتَهَ يَنْبُوحْ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ
108	214	الشعراء	وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ
73	29- 23	الشعراء	قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ
74	31- 30	الشعراء	قَالَ أَوْلَوْ جِئْتِكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَاتِّ ^ط
74	48- 46	الشعراء	فَأَلْقَى السِّحْرَ سَاجِدِينَ ﴿٤٨﴾
17	80- 79	الشعراء	وَالَّذِي هُوَ يُطْعَمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾
22	14	النمل	وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا
111	14	النمل	وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا
66	19	النمل	وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي ^ط
50	88	النمل	صُنِعَ اللَّهُ لِلَّذِي أَنْفَنَ كُلَّ شَيْءٍ
90	9	القصص	وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي لِي ^ط
90	15	القصص	فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ ^ط
90	18	القصص	فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ
91	20	القصص	وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى ^ط
91	21	القصص	فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ^ط
91	21	القصص	قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ

53	25	القصص	فَجَاءَهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّكِ ^ط
64	26	القصص	قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَجِرْهُ ^ط إِنَّكِ خَيْرٌ مَنِ اسْتَجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ
91	31	القصص	وَأَنْ أَلْقِي عَصَاكَ ^ط فَلَمَّا رَأَاهَا نَهَزَتْ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ^ط
92	31	القصص	يَمْوَسِي ^ط أَقْبَلَ وَلَا يَخْفَى ^ط إِنَّكَ مِنَ الْأَمِينِينَ
73	38	القصص	: وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا مَنَ إِلَهِي غَيْرِي
36	56	القصص	إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ^ط
52	16- 15	القصص	فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ ^ط مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ ^ط
52	21- 20	القصص	وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَمْوَسِي ^ط
52	24- 23	القصص	وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّكَاسِ ^ط
53	28- 26	القصص	قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَجِرْهُ ^ط إِنَّكِ خَيْرٌ مَنِ ^ط
101	14	العنكبوت	وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ ^ط
124	14	العنكبوت	وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ ^ط
38	47	الروم	وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ
127	10	الأحزاب	وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَنَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا
77	17	الأحزاب	قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ^ط
89	19	الأحزاب	فَإِذَا جَاءَ الْحُوفُ رَأَيْتَهُمْ يُنظِرُونَ ^ط إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ^ط
127 79	21	الأحزاب	لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ ^ط
61	69	الأحزاب	يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادُوا مُوسَى ^ط
54	10	سبأ	وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَنْجِيهِ ^ط أَوْبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ
54	11	سبأ	أَنْ أَعْمَلَ سَبِيغَتٍ وَقَدِّرَ فِي السَّرْدِ ^ط وَاعْمَلُوا صَالِحًا ^ط

54	13- 12	سبأ	وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن
14	1	فاطر	جَاعِلِ الْمَلَكِ رُسُلًا
115	4	فاطر	وَإِن يَكذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ
111	25	فاطر	وَإِن يَكذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ
112	42	فاطر	وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ
113	43	فاطر	أَسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ
11	15	يس	مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا
15 12	15	يس	قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ
100	30	يس	يَحْضَرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ
37	93	الصفافات	فَرَأَى عَلَيْهِمْ صُرُبًا يُالَمِينَ
39	100	الصفافات	رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ
39	101	الصفافات	فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ
40	- 102 107	الصفافات	فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَىٰ قَالَ يَبْنَؤُا إِنِّي أَرَىٰ فِي
41	- 106 107	الصفافات	إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلْتَأُ الْمُؤْمِنُ ﴿١٠٦﴾ وَدَيْنَهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾
37	90 - 88	الصفافات	فَنظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَنُوحُوا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾
94	22	ص	قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ
25	34	ص	وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ
119	47	ص	عِنْدَنَا لِمَنِ الْمُصْطَفَىٰ الْأَخْيَارِ
12	71	ص	إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّن طِينٍ
113	78	ص	وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعَنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ

84	25- 24	ص	قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَجْوِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ ^ط وَإِنَّ.....
13	68- 67	ص	قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ
48	10	الزمر	إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ
23 18	30	الزمر	إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ
70	15	غافر	اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ^ط
32	13	الشورى	شَرَعَ لَكُمْ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا ^ط
100	7	الزخرف	وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ
109	31	الزخرف	وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنَ الْقَرْبَتَيْنِ عَظِيمٍ
109	32	الزخرف	أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ^ط
109	32	الزخرف	نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ^ط
115	10	محمد	أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ^ط
85	19	محمد	فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ ^ط
100	11	الحجر	وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ
103	95	الحجر	إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ^ط
49	56	الذاريات	وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ
68	27- 24	الذاريات	هَلْ أُنذِرَكَ حَدِيثٌ صَفِيفٌ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ.....
101	42- 41	الذاريات	وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُونَ شَيْئًا ^ط
81	32	النجم	الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ ^ط
33	9	القمر	كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ
121	17	القمر	وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ
15	24	القمر	فَقَالُوا أَأَشْرَأُ مِمَّنَّا وَحِدًا نَنبَعُهُ ^ط إِنَّا إِذَا لَفِيَ ضَلَالٍ وَسُعُرٍ

62	26	الحديد	وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا.....
102	9-8	المتحنة	لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ لَمْ يَقْتُلْكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يَخْرُجْكُمْ مِنْ.....
49	10	الجمعة	فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ.....
25 24	4	المنافقون	وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ.....
59	3	التغابن	وَصُورَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ.....
47	3-2	الطلاق	وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ.....
85	1	التحريم	يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَوْلِيكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ
85	6	التحريم	لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ
49	15	الملك	هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي.....
63	4	القلم	وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ
51	26	نوح	وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا
67	28	نوح	رَبِّ أَعْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي.....
124 50	10-5	نوح	قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا.....
95 94	22	المدثر	ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ
12	27	المدثر	إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ
121	19	القيامة	ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيِّنَاتِهِ
94	10	الإنسان	يَوْمًا عَبُوسًا قَتَطِيرًا
73	24	النازعات	فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى
95 94	1	عبس	عَبَسَ وَتَوَلَّى
84 17	2-1	عبس	عَبَسَ وَتَوَلَّى ﴿١﴾ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ﴿٢﴾
95	11-3	عبس	وَمَا يَدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَنُّ ﴿٣﴾ كَلَّا ﴿١١﴾

86	6	الأعلى	سَنُقَرِّطُكَ فَلَا تَنسَى
59	4	التنين	فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا.....
42	5	الفلق	وَمِنْ شَرِّ حَسَدٍ

مسرد الأحاديث الشريفة:

الصفحة	طرف الحديث الشريف
1	أول ما بُدئَ به رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم.....
2	إن روح القدس نفث في روعي؛ أن نفساً لن تموت حتى تستكمل رزقها.....
2	ولقد رأبته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد، ففصم عنه وإن جبينه ليَتَقَصَّدُ عَرَقًا
23	إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة؛ فيه خلق آدم، وفيه قبض، وفيه النِّفخة،
32	ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه، وولده، وماله، حتى يلقي الله وما عليه خطيئة
31	من أشد الناس بلاء؟ قال: النبيون؛ ثم الأمل فالأمل، يبتلى الرجل على حسب دينه.....
42	اللهم هذا قسمي فيما أملك، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك
45	ثُمَّ عَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيْلُ قَبِيْلَ مَنْ أَنْتَ قَالَ جِبْرِيْلُ قِيْلَ وَمَنْ مَعَكَ
46	سَبْعَةَ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ....
56	ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم فقال أصحابه: وأنت؟ فقال: نعم.....
53	لو رأيتني وأنا أستمع لقراءتك البارحة، لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود
55	كان زكريا نجاراً
60	رأيت ليلة أسري بي موسى رجلاً آدم طوالاً جعداً، كأنه من رجال شنوءة.....
60	ليلة أسري بي رأيت موسى وإذا هو رجل ضرب رجل، كأنه من رجال شنوءة.....
60	كان ربعة من القوم، ليس بالطويل ولا بالقصير، أزهر اللون ليس بأبيض أمهق
60	كان أحسن الناس صفة وأجملها، كان ربعة إلى الطول ما هو، بعيد ما بين المنكبين.....
61	وأنا أشبه ولد إبراهيم به
61	إن موسى كان رجلاً حياً ستيراً، لا يرى من جلده شيء استحياء منه، فأداه من آداه
62	بعثت من خير قرون بني آدم قرناً فقرناً حتى كنت من القرن الذي كنت فيه
63	أبها الناس؛ إن الله خلق خلقه فجعلهم فرقتين، فجعلني في خير الفرقتين.....
63	إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق

64	وَأَهْدِنِي لِحَسَنِ الْخَلْقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا
66	مَا أَنْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِنَفْسِهِ فِي شَيْءٍ يُؤْتِي إِلَيْهِ حَتَّى
77	أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَيُقِيمُوا
126	خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِنْ مَاءٍ وَصِفَ لَكُمْ

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- إبراهيم مصطفى/ أحمد الزيات/ حامد عبد القادر/ محمد النجار: المعجم الوسيط (2+1). تحقيق مجمع اللغة العربية. دار الدعوة.
- الأسنوي، جمال الدين عبد الرحيم: نهاية السؤل في شرح منهاج الأصول. بيروت: عالم الكتب.
- الأشقر، عمر سليمان عبد الله: الرسل والرسالات. ط14. عمان: دار النفائس. 1427هـ 2007م.
- الأصفهاني، العلامة الراغب: مفردات ألفاظ القرآن. تحقيق صفوان عدنان داوودي. ط4. دمشق: دار القلم. بيروت: الدار الشامية. 1430هـ 2009م.
- الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد: مفردات غريب القرآن. تحقيق مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز. مكتبة نزار مصطفى الباز.
- الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- الأمدي، أبو الحسن علي بن أبي علي بن محمد: الإحكام في أصول الأحكام. القاهرة: دار الحديث.
- البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل الجعفي: الجامع الصحيح المختصر. تحقيق: د. مصطفى ديب البغا. ط3. بيروت: دار ابن كثير اليمامة. 1407 هـ 1987 م.
- البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء: معالم التنزيل في تفسير القرآن تفسير البغوي. تحقيق عبد الرزاق المهدي. بيروت: دار إحياء التراث العربي. ط1. 1420هـ .

- البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي: سنن البيهقي الكبرى. تحقيق: محمد عبد القادر عطا. مكة المكرمة: مكتبة دار الباز. 1414هـ. 1994م.
- البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين: دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة. تحقيق الدكتور عبد المعطي قلنجي. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.
- الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى: الجامع الصحيح سنن الترمذي. تحقيق: أحمد محمد شاکر وآخرون. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- ابن تيمية، أحمد عبد الحلیم الحراني: كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية. ط2. مكتبة ابن تيمية. تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي.
- ابن تيمية، أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم: الفتاوى الكبرى. تحقيق وتقديم حسنين محمد مخلوف. بيروت: دار المعرفة.
- الثعالبي، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف: الجواهر الحسان في تفسير القرآن. بيروت: مؤسسة الأعلمی للمطبوعات.
- الجرجاني، عبد الله بن عدي بن عبد الله بن محمد: الكامل في ضعفاء الرجال. تحقيق: يحيى مختار غزاوي. ط3. بيروت: دار الفكر. 1409 هـ. 1988 م.
- الجصاص، أحمد بن علي الرازي أبو بكر: أحكام القرآن. تحقيق محمد الصادق قمحاوي. بيروت: دار إحياء التراث العربي. 1405 هـ.
- الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن: ذم الهوى. تحقيق مصطفى عبد الواحد.
- أبو حاتم، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي: تفسير ابن أبي حاتم. تحقيق أسعد محمد الطيب. صيدا: المكتبة العصرية.

- ابن الحاجب، جمال الدين أبو عمرو عثمان بن عمر بن أبي بكر: **مختصر منتهى السؤل والأمل في علمي الأصول والجدل**. ط1. تحقيق وتعليق الدكتور نذير حمادو. بيروت: دار ابن حزم. 1427هـ 2006م.
- الحاكم، محمد بن عبد الله أبو عبد الله النيسابوري: **المستدرک علی الصحیحین**. تحقيق مصطفى عبد القادر عطا. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية. 1411هـ - 1990م.
- ابن حجر، أحمد بن علي أبو الفضل العسقلاني: **فتح الباري شرح صحيح البخاري**. تحقيق محب الدين الخطيب. بيروت: دار المعرفة.
- ابن حجر، أبا الفضل أحمد بن علي العسقلاني: **تهذيب التهذيب**. ط1. بيروت: دار الفكر. 1404هـ 1984م.
- الحميدي، محمد بن فتوح: **الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم**. ط2. تحقيق: د. علي حسين البواب. بيروت: دار ابن حزم. 1423 هـ 2002م.
- ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد: **مسند الإمام أحمد**. مصر: مؤسسة قرطبة.
- أبو حيان، محمد بن يوسف: **تفسير البحر المحيط**. تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، وشارك في التحقيق: د. زكريا عبد المجيد النوقي و د. أحمد النجولي الجمل. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية. 1422 هـ 2001م.
- الخالدي، صلاح: **مواقف الأنبياء في القرآن تحليل وتوجيه**. ط1. دمشق: دار القلم.
- الخطيب، عبد الكريم يونس: **التفسير القرآني للقرآن**. تحقيق خالد عبد الرحمن العك. بيروت: دار المعرفة.
- أبو داود، سليمان بن الأشعث: **سنن أبي داود**. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. بيروت: دار الفكر.

- الرازي، فخر الدين محمد بن عمر التميمي: التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية. 1421هـ 2000م.
- الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني: تاج العروس من جواهر القاموس. تحقيق مجموعة من المحققين. دار الهداية.
- الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري: معاني القرآن وإعرابه. تحقيق الدكتور عبد الجليل عبده شلبي. ط1. بيروت: عالم الكتاب. 1408هـ 1988م.
- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. تحقيق عبد الرزاق المهدي. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. تحقيق: ابن عثيمين. بيروت: مؤسسة الرسالة. 1421هـ - 2000م.
- السعود، محمد بن محمد العمادي: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- السفاريني، شمس الدين أبو العون محمد بن احمد: نواعم الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية. ط2. دمشق: مؤسسة الخافقين. 1402هـ - 1982م.
- السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار: تفسير القرآن. ط1. تحقيق ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم. الرياض: دار الوطن. 1418هـ 1997م.
- السيوطي، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين: الدر المنثور. بيروت: دار الفكر. 1993م.
- الشعراوي، محمد متولي: تفسير الشعراوي-الخواطر. القاهرة: مطابع أخبار اليوم. 1997م.

- الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد بن المختار: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. تحقيق مكتب البحوث والدراسات. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر. 1415هـ - 1995م.
- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير. بيروت: دار الفكر.
- الشوكاني، محمد بن علي: إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول. تحقيق الدكتور شعبان محمد إسماعيل. ط1. مصر: دار الكتبي. 1413هـ 1992م.
- ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد الكوفي: الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار. تحقيق كمال يوسف الحوت. ط1. الرياض: مكتبة الرشد. 1409 هـ .
- الصابوني، محمد علي: النبوة والأنبياء. القاهرة: دار الحديث. 1404هـ 1984م.
- طبارة، عفيف عبد الفتاح: مع الأنبياء في القرآن. بيروت: دار العلم للملايين. 1985م.
- الطبري، محمد بن جرير: جامع البيان عن تأويل آي القرآن. بيروت: دار الفكر. 1405هـ .
- ابن عاشور، محمد الطاهر: التحرير والتنوير. تونس: الدار التونسية. 1984م.
- عبد الباقي، محمد فؤاد: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. القاهرة: دار الكتب المصرية. 1364هـ .
- العسكري، أبو هلال: الفروق اللغوية. تحقيق: محمد إبراهيم سليم. القاهرة: دار العلم والثقافة.

- ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي: **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**. ط1. تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد. بيروت: دار الكتب العلمية. 1413هـ 1993م.
- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد: **إحياء علوم الدين**. بيروت: دار المعرفة.
- الغزنوي، جمال الدين أحمد بن محمد بن سعيد: **أصول الدين**. ط1. تحقيق الدكتور عمر وفاق الداعوق. بيروت: دار البشائر الإسلامية. 1419هـ 1998م.
- ابن فارس، أبو الحسن أحمد: **مقاييس اللغة**. تحقيق عبد السلام محمد هارون. ط2. بيروت: دار الجيل. 1420هـ - 1999م.
- الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد: **كتاب العين**. تحقيق مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي.
- الفيروز أبادي، محمد بن يعقوب: **القاموس المحيط**. بيروت: مؤسسة الرسالة.
- القاسمي، محمد جمال الدين: **محاسن التأويل**. تصحيح وترقيم وتخريج وتعليق: محمد فؤاد عبد الباقي. ط1. دار إحياء الكتب العربية. 1376هـ 1957م.
- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري: **الجامع لأحكام القرآن**. القاهرة: دار الشعب.
- القضاعي، أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر: **مسند الشهاب**. تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي. ط2. بيروت: مؤسسة الرسالة. 1407هـ 1986م.
- قطب، سيد: **في ظلال القرآن**. القاهرة: دار الشروق. 1423هـ 2003م.

- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي: تفسير القرآن العظيم. بيروت: دار الفكر. 1401هـ .
- ابن كثير، إسماعيل بن عمر القرشي أبو الفداء: البداية والنهاية. بيروت: مكتبة المعارف.
- الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية. تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري. بيروت: مؤسسة الرسالة. 1419هـ .1998م.
- الكلبي، محمد بن أحمد بن محمد: التسهيل لعلوم التنزيل. ط4. لبنان: دار الكتاب العربي. 1403هـ -1983م.
- الماوردي، أبا الحسن علي بن محمد بن حبيب: النكت والعيون، تفسير الماوردي. مراجعة وتعليق السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم. بيروت: دار الكتب العلمية ومؤسسة الكتب الثقافية.
- متولي، تامر محمد محمود: منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة. ص709. ط1. الرياض: دار ماجد عسيري. 1425هـ - 2004م.
- مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري: صحيح مسلم. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار إحياء التراث العربي. باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحوه.
- المناوي، عبد الرؤوف: التوقيف على مهمات التعاريف. تحقيق الدكتور عبد الحميد صالح حمدان. ط1. القاهرة: عالم الكتب. 1410هـ 1990م.
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب. ط3. بيروت: دار صادر. 1414هـ 1994م.

- المنياوي، أبو المنذر محمود بن محمد بن مصطفى: الجموع البهية للعقيدة السلفية التي ذكرها العلامة الشنقيطي في تفسيره أضواء البيان. ط1. مصر: مكتبة ابن عباس. 1426هـ 2005م.
- الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة: معارج التفكير ودقائق التدبر. دمشق: دار القلم.
- النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف: رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين. ط3. بيروت: دار الفكر. 1421هـ 2000م.

Najah National University
Faculty of Graduate Studies

**The Prophets - Peace be upon them- between
Infallibility and Humanity in The Holy Quran**

Prepared by

Mohammad Mazouz Mohammad Qashou

Supervised by

Dr. Muhsin Al -Khaldi

This Thesis is Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Master of Fundamentals of Islamic Law (Usol Al-Din), Faculty of Graduate Studies, An – Najah National University, Nablus - Palestine.

2014

The Prophets - Peace be upon them- between Infallibility and Humanity in The Holy Quran

Prepared by

Mohammad Mazouz Mohammad Qashou

Supervised by

Dr. Muhsin Al -Khaldi

Abstract

Praise be to God, peace be upon our prophet Mohammad , his family and all his followers and proponents till the day of judgement .

This paper explored the human aspects of the prophets' lives as they were mentioned in the Quran because these characteristics were a subject of argument upon which the followers refused to believe or accept the prophets' ideas.

This paper explored also that these prophets must be believed , supported and followed On every thing God told them to do. People mustn't be doubtful on whatever human like they behave such as eating ,drinking and other human activities or any extra ordinary life events they might have like others.

Also , this paper showed different stories from the prophets' own lives and how they were protected and defended by God . It is indicated through examples the logic and the wisdom of choosing prophets humans in order to make it easy for people to communicate with them and taking them as good examples.

This document was created with Win2PDF available at <http://www.win2pdf.com>.
The unregistered version of Win2PDF is for evaluation or non-commercial use only.
This page will not be added after purchasing Win2PDF.